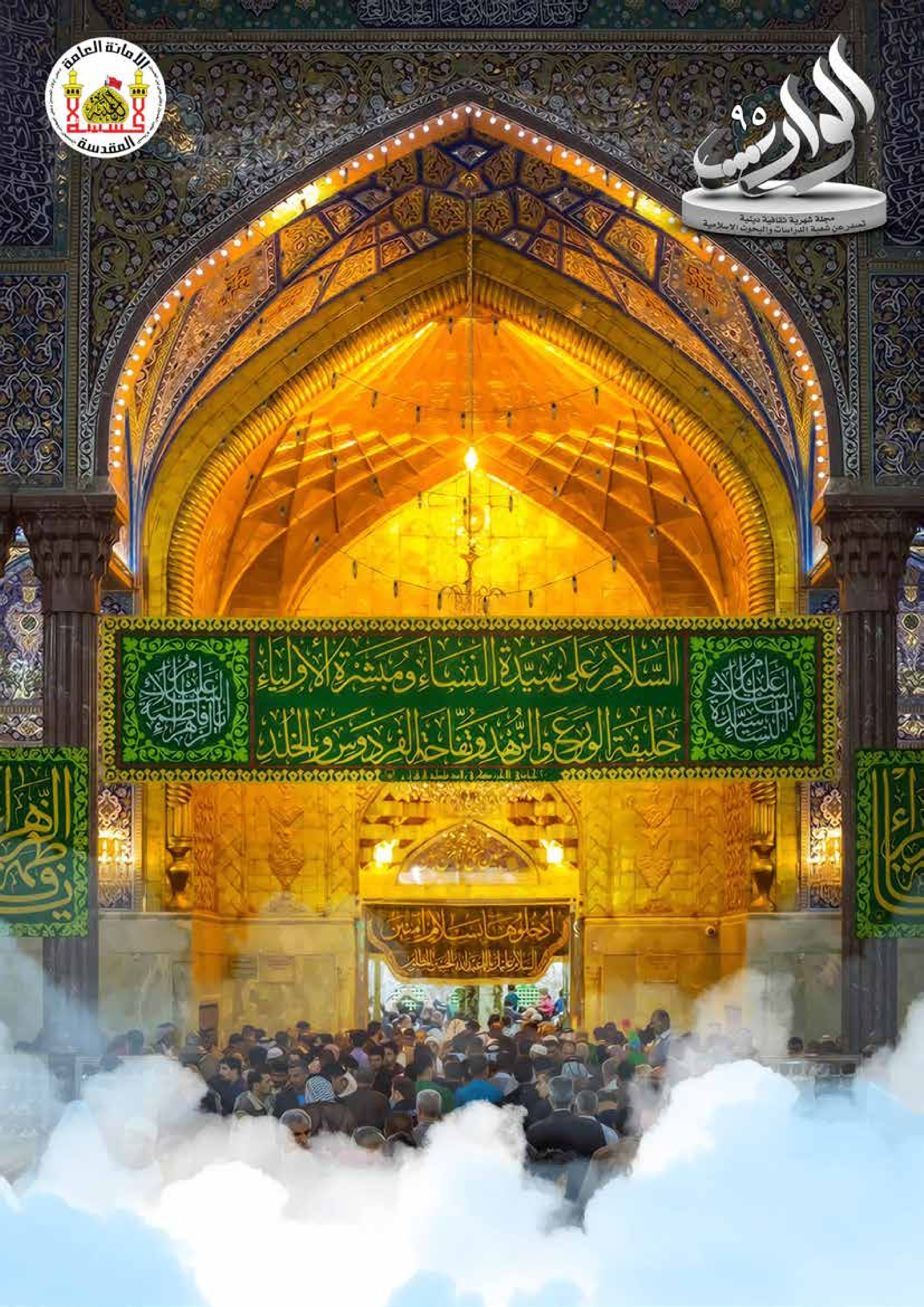

الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
٩٥
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
السلام على سيدة النساء ومبشرة الأولياء
حليفة الورع والزهد وتفاحة الفردوس والخلد
ادخلوها بسلام آمنين

رجب - شعبان ١٤٣٨هـ
نيسان - أيار ٢٠١٧م



الإشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

صفوان ضياء جمال الدين

محمد فاضل الزبيدي

أحمد محسن المؤذن

حسين عدنان رضيوي

التدقيق اللغوي

ضياء قاسم عبدالعالي

التصميم والاخراج الفني

علي طالب ماميثة




إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة
www.imamhussain.org
موقع القسم
www.imamhussain-lib.org
بريد القسم
info@imamhussain-lib.org





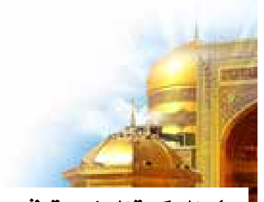
















في الإخلاص يكون الخلاص

هذا الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام تنطوي فيه الكثير من المعارف والفوائد، وعند تأملنا لهذا الحديث ظهر لنا ما يلي:

١. ان الاخلاص في العمل الدنيوي يؤدي الى نجاح العمل وكثرة فوائده.

٢. ان الاخلاص في العمل يشعر صاحبه بالصدق والطهارة فيطمئن قلبه ويرضى عن نفسه.

٣. ان الاخلاص في العمل يدعو الاخرين الى الاقتداء بعمل المخلص فيعم الاخلاص فيعم الخير والبركة.

٤. ان الاخلاص في العمل يقتضي العمل بمهنية وكفاءة، فتقل الاخطاء ويكثر الصواب فيزداد الخير ويعم البلاد والعباد .

٥. ان الاخلاص في العمل يدفع عن صاحبه تهمة الفساد، وينزهه عن الحرام.

٦. ان الاخلاص في العمل فيه مرضاة الرب والقرب منه كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله عز وجل: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلاّ توليت تقويمه وسياسته. فيكون المخص في رعاية الله عز وجل وتسديده.

٧. ان الاخلاص في النية ينزه صاحبه عن الدنية، وهذا ما أكده الإمام علي عليه السلام حيث قال: من أخلص النية تنزه عن الدنية.

فالمخلص ينجو من شرور الدنيا وعقوبة الآخرة، والمخلص يخرج من خانة المقصرين ويدخل في الصادقين، والمخلص يجتنب المحارم بإخلاصه فيكون من الطاهرين، فبالاخلاص تبنى البلاد وتنعم العباد وتسود البركات، وتتسع الخيرات، وتدفع البلايا، وتسمو النوايا، وبالاخلاص يطمئن القلب وتستقر النفس، ويرتفع القلق وتحل الطمأنينة. فبالاخلاص يكون الخلاص من كل ضرر دنيوي وأخروي.

المشرف العام

عطاء الثورة الحسينية

هناك جوانب مهمّة في ثورة سيد الشهداء عليه السلام ينبغي على الموالي معرفتها، وحريّ بنا أن نستفيد في حياته من عطاء الثورة الحسينية.

فإنّ لكل حركة إصلاحية وثورة جماعية تغييرية معطياتها، ولا يخفى على كل إنسان المعطيات الوافرة للثورة الحسينية ومدى استفادة الأمة الإسلامية وغيرها من هذه المعطيات.

فالتركيز على الجانب الإنساني والمأساوي في الثورة الحسينية من قتل وسلب ونهب وبكاء النساء ونحيب الأطفال لا يكفي لنهوض المجتمع من واقعه المرير، لأنّ الثورة الحسينية لم تحدّد بوقت معيّن وقد حدثت قبل ألف وثلاثمائة عام.

استمرارية الثورة الحسينية من سنة ٦٠ للهجرة وحتى قيام الساعة، بل إنّ ما يعود إلى الناس من النفع والإصلاح في المجتمع ابتدأت بثورة سيد الشهداء عليه السلام وهذه الثورة لها امتداد إلى قيام الإمام المهدي عليه السلام، فهو أيضاً سيقوم بثورة ضد الظلم والاستبداد، كما جاء في الحديث الشريف: «أبشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...».(كنز العمال:١٤/ ٢٦١)

إقامة العدل في الأرض من واجبات خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الإمام المعصوم بنص الرواية الشريفة «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

أي أنّ لو لم يكن هناك من حجة على وجه الأرض لانقلبت الأرض وما فيها على ساكنيها من البشر والحيوانات والنباتات وكل شيء حتى الجماد.

فحريّ بنا أن نركّز على شيء من معطيات الثورة الحسينية العقائدية والأخلاقية والإصلاحية والمعنوية والروحية.

المعطيات العقادية

ورد في التاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام وهو في طوافه في موسم الحج عندما رفض أن يبايع يزيد بن معاوية أتاه هاتف إلهامي يأمره بأن يحلَّ من إحرامه وأن يجعل حجته عمرة مفردة وإلاّ سوف يُقتل وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة.

فامتثل الإمام الحسين عليه السلام لأمر الله تعالى، وقد كانت هناك إرهاصاتٌ بذلك كان الإمام عليه السلام على علم بها، وعندما كان في المدينة المنورة زار جده المصطفى وعند القبر بينما هو يزور غفا غفوة رأى فيها جده صلى الله عليه وآله قائلاً له: «إنَّ لك منزلة عند الله لن تنالها إلاَّ بالشهادة».

إنَّ امتثال الإمام الحسين عليه السلام وإحلال إحرامه وخروجه من مكة للحفاظ على حرمة الكعبة يعد قمة في إيمانه بقضاء الله وقدره مع علمه بأنه مقتولٌ لا محالة لرفضه مبايعة يزيد وتمرده على فسقه وفجوره العلني بل على الظلم والاستبداد.

أمّا الموقف الآخر حينما رُمي عبدا لله الرضيع عليه السلام بسهم حرملة لعنه الله في كربلاء أخذ الإمام عليه السلام دم الرضيع المبارك ورماه إلى السماء قائلاً:«هوّنَ عليَّ ما نزل بي إنَّه بعين الله».

فإنّ كلّ ما ينزل بنا هو من الله سبحانه وتعالى فكله هيّن وسهل في جنب الله وفي سبيله، وهو القائل عليه السلام: «رضا الله من رضانا أهل البيت نصبر على عظيم بلائه فيوفينا أجور الصابرين».

المعطيات الأخلاقية

لقد أعطت ثورة الإمام الحسين دروساً أخلاقية عظيمة مما يجعل المرء المنصف يتوقف عندها ويتأمل فيها من تلك المواقف، موقف الإمام مع جيش الحر

الرياحي وأصحابه عندما شارفوا على الهلاك من شدة العطش والتعب وهم يسيرون في الصحراء بحثاً عن الإمام وأصحابه.

فحين رآهم الإمام وهم بحالة يرثى لها وعلى الرغم من أنّهم من أتباع يزيد وأزلامه، أنقدهم الإمام من الهلاك حيث أمر أصحابه أن يسقوا القوم من الماء ويرشّفوا الخيل ترشيفاً.

نلاحظ هنا مدى أخلاقيات الإمام الإنسانية، كان باستطاعته أن يفنيهم عن بكرة أبيهم ولكن الأخلاق الإسلامية الرفيعة تأبى ذلك.

بل إنَّ الإمام عليه السلام مع عظمته ومكانته وهيبته وهو ابن رسول الله سقى أحدهم بيده المباركة الشريفة وهو علي بن الطعّان ومع شديد الأسف هذا اللعين نفسه شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام.

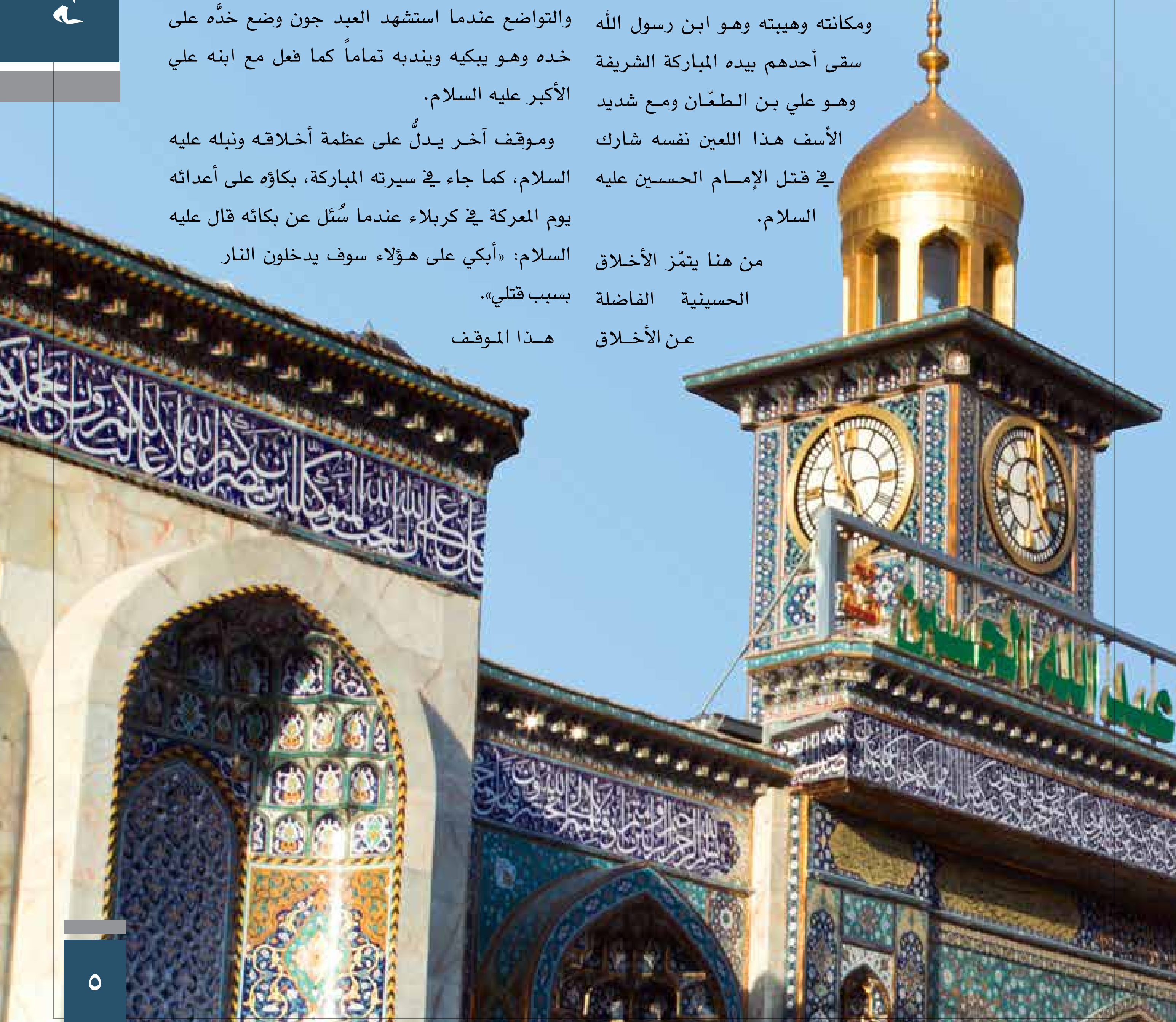
من هنا يتمّز الأخلاق الحسينية الفاضلة عن الأخلاق اليزيدية القذرة، فكأن جيش بني أمية لم يقرأوا القرآن طيلة حياتهم، ولم يسمعوا باسم رسول الله صلى الله عليه وآله بل وكأنّهم غير مسلمين من ملّة أخرى.

فشملت أخلاقيات الحسين حتى الحيوان والرفق به حيث لم ينسَ خيولهم بل أمر أصحابه أن يرشفوا الخيل ترشيفاً، هذا مع حاجة الإمام إلى الماء وهو في سفر، مما يعطينا درساً في العفو والرحمة والرفق والشفقة والإنسانية، درساً عملياً تراه بعين القلب وكأنه متجسدٌ أمامك ينبض بالحيوية والحياة مما يؤثر تأثيراً بالغاً على النفس ويصقلها صقلاً أخلاقياً جميلاً.

درسٌ آخر يعطينا إيَّاه الإمام عليه السلام في المساواة والتواضع عندما استشهد العبد جون وضع خدَّه على خده وهو يبكيه ويندبه تماماً كما فعل مع ابنه علي الأكبر عليه السلام.

وموقف آخر يدلُّ على عظمة أخلاقه ونبله عليه السلام، كما جاء في سيرته المباركة، بكاؤه على أعدائه يوم المعركة في كربلاء عندما سُئل عن بكائه قال عليه السلام: «أبكي على هؤلاء سوف يدخلون النار بسبب قتلي».

هذا الموقف



النبيل يربينا ويروض أنفسنا على الرحمة والرأفة والتسامح والعفو حتى عن الأعداء كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يحيف على من يبغض - أي لا يظلم من يبغض - ولا يأثم في من يحب».

وموقف آخر من أبي الفضل العباس عندما نزل المشرعة بعد أن أجلى الأوغاد عنها لأنهم منعوا معسكر الحسين من الماء، وبينما كان العباس يملأ القربة أحسَّ ببرد الماء وهو عطشان عطشاً شديداً فملأ كفه ليشرب لكنه تذكر عطش أخيه الحسين حين ذاك رمى الماء من كفه وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون
وتشربين بارد المعين

رفض عليه السلام شرب الماء قبل أخيه الحسين عليه السلام مع أنّ شرب الماء مباح له، لكن ألزم نفسه على أن لا يرتوي قبل أخيه الحسين عليه السلام فهذا الموقف العظيم يدلُّ على عظمة شخصيَّة العباس عليه السلام وعلى التربية الإسلامية الأصيلة التي تلقاها على يد والده الإمام علي عليه السلام الذي زرع فيه تلك الروح الأبية والمبادئ الإسلامية النبيلة.

الإصلاح الحسيني

إن مبدأ خروج الإمام الحسين عليه السلام على فساد المجتمع، كذلك ما أفسده يزيد لعنه الله، فقام عليه السلام على أساس الإصلاح في أمّة محمد صلى الله عليه وآله وتطبيق أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو القائل عليه السلام: «لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي أُريد أن آ مر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب».

فهو عليه السلام قام بتقديمه الغالي والنفيس من عرضٍ ومال وأهل وأولاد وأصحاب وكل شيء في سبيل الله من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد رفع من أهمية هذا الأصل في عيون المؤمنين في الوقت الذي توقف فيه الآخرون لدى تطبيقهم لهذا الأصل عند حدود منع الضرر الشخصي، وبذلك قد حطّوا من قيمة هذا الأصل وأهميته.

التضحية

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تبقى على مر العصور مثالاً يُحتذى به في التضحية والجهاد والاستشهاد ومقارعة الظلم والظالمين، لقد قدَّم الحسين عليه السلام نفسه قرباناً في سبيل استقامة الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله حتى قيل:(الإسلام محمديُّ الوجود حسينيُّ البقاء) أي كان وجود الإسلام وظهوره بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وكان استمراره وبقاؤه بتضحيات الإمام الحسين عليه السلام حتى الشباب الذين كانوا في عمر الزهور اليافعة قدموا أنفسهم للاستشهاد في سبيل الحق، كعلي الأكبر والقاسم بن الحسن وعبد الله بن الحسن وغيرهم.

فهؤلاء الأبطال الشباب كانوا من أوائل من استشهد من أهل بيت سيد الشهداء عليه السلام، ولهم مواقف تدلّ على عظمتهم وشجاعتهم وحكمتهم.

فعندما غفا الإمام الحسين عليه السلام في مسيره إلى كربلاء رأى رؤيا استرجع الإمام منها بعد غفوته، وحين سمعه علي الأكبر سأله: لمَ استرجعت يا أبي، قال:«سمعت هاتفاً يقول القوم يسيرون والمنايا تسير بهم»، فقال علي الأكبر: ألسنا على الحق يا أبي؟ قال:«بلى يابني»، قال: إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا.

هذا الموقف ومواقف كثيرة في كربلاء، مثل خروج القاسم بن الحسن للجهاد واستشهاده في سن لم يبلغ الحُلم، أصبحت تلك المواقف البطولية الاستشهادية نبراساً يسير عليه معظم المجاهدين في تقديم أنفسهم من أجل الإسلام العزيز ونصرته.

العطاء الروحي والمعنوي

لقد كانت ملحمة سيد الشهداء عليه السلام

مسرحاً للعطاء الروحي والمعنوي، فيستطيع الإنسان أن يدرك عظمة القدرة الأخلاقية والروحية والمعنوية للبشر في الثورة الحسينية، كما يستطيع أن يفهم ويستوعب حجم المقدرة البشرية على العطاء والتضحية والظهور بمظهر التحرر والدفاع عن الحق وعبادة الله تعالى رب العباد.

فالمتتبع لقضية كربلاء يلاحظ ظهور معاني الصبر والتحمل والشجاعة والتضحية والإقدام والفداء وعدم التردد والحيرة والصبر والرضا والتسليم والمروءة والكرم والنبل والإيثار والسماحة...وغير ذلك من الصفات الروحية والمعنوية التي خلّدها الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام بثورته المباركة.

كما يعجز القلم عن وصف الحالة المعنوية التي تمتعوا بها في ذلك الوقت التضحوي الصعب على الإنسان.

إذن علينا أن ننهض إلى مستوى المسؤولية في إصلاح مجتمعنا ونقوم بتنمية قدراتنا للوقوف أمام أعداء الإسلام بكل ما أوتينا من قوة، فإنّ أعمالنا تُشاهد يقول تعالى: ﴿ وقد اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون... ﴾.

وإنّ إبراز الجوانب المعنوية والروحية التي تعود على المرء بالفائدة الكبرى في مسيرة حياته، من الثورة الحسينية ضروري وواجب، لهذا يجب علينا التأسّي والتأثُّر واقتباس الجوانب العظيمة والمشرقة التي سطرها الإمام الحسين عليه السلام بدمه وتضحياته والمضي قدماً نحو النهوض بالأمة وإصلاحها عن طريق تطبيق الأصل المنسي لدي الناس ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... ﴾.

وعلينا أن نقتبس من تلك الأنوار العطاء المعنوي والروحي الذي شعّ من نور سيد الشهداء عليه السلام، وتنوير أنفسنا منها حتى نصل إلى كمال الإيمان والفوز بسعادة الدارين.



ليث الحيدري

أسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام على الطاغية يزيد

لقد أحاطت بالإمام عليه السلام عدة من المسؤوليات الدينية والواجبات الاجتماعية وغيرها، فحفزته إلى الثورة ودفعته إلى التضحية والفداء منها:

أولاً: المسؤولية الدينية

أعلن الإسلام المسؤولية الكبرى على كل مسلم عما يحدث في بلاد المسلمين من الأحداث والأزمات التي تتنافى مع دينهم، وتتجافى مع مصالحهم، فإنّه ليس من الإسلام في شيء أن يقف المسلم موقفاً يتسم بالميوعة واللامبالاة أما الهزات التي تدهم الأُمة وتدمر مصالحها، وقد أعلن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هذه المسؤولية، بقوله: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».(المجموع للنووي:٣/١١)

فالمسلم مسؤول أمام الله عن رعاية مجتمعه، والسهر على صالح بلاده، والدفاع عن أُمته.

وعلى ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الإمام الحسين عليه السلام جور الأُمويين، وناجز مخططاتهم الهادفة إلى استعباد الأُمة وإذلالها، ونهب ثرواتها، وقد أدلى عليه السلام بما يحتمه الإسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد، أمام الحر وأصحابه قال عليه السلام: «أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».(الحديث النبوي بين الرواية والدراية للسبحاني:١٣٧)

لقد كان الواجب الديني يحتّم عليه القيام بوجه الحكم الأُموي الذي استحل حرمات الله، ونكث عهوده وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد صرح جماعة من علماء المسلمين بأنّ الواجب الديني كان يقضي على الإمام أن ينطلق في ميادين الجهاد دفاعاً عن الإسلام، وفيما يلي بعضهم.

١. عن محمد عبده في حديثه عن الحكومة العادلة والجائرة في الإسلام إلى خروج الإمام على حكومة يزيد، ووصفه بأنّه كان واجباً شرعياً عليه قال: (إذا وجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطله، وجب على كل مسلم نصر الأُولى، وخذل الثانية...).

ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه على إمام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمنكر يزيد بن معاوية خذله الله، وخذل من انتصر له من الكرامية والنواصب.(تفسير المنار:١/٣٦٧)

٢. تحدث محمد عبد الباقي سرور عن المسؤولية الدينية والاجتماعية اللتين تحتمان على الإمام القيام بمناهضة حكم يزيد فقال: (لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر، الذي أباح الخمر والزنا وحط بكرامة الخلافة إلى

مجالسة الغانيات، وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم، والذي ألبس الكلاب والقرود خلاخل من ذهب، ومئات الألوف من السلمين صرعى الجوع، والحرمان. لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الوضع لكانت فتيا من الحسين بإباحة هذا للمسلمين، وكان سكوته هذا أيضاً رضى، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت إثم وجريمة في حكم الشريعة الإسلامية، والحسين بوضعه الراهن في عهد يزيد هو الشخصية المسؤولة في الجزيرة العربية بل في البلاد الإسلامية كافة عن حماية التراث الإسلامي لمكانته في المسلمين، ولقرابته من رسول رب العالمين، ولكونه بعد موت كبار المسلمين كان أعظم المسلمين في ذلك الوقت علماً وزهداً وحسباً ومكانة. فعلى هذا الوضع أحسن بالمسؤولية تناديه وتطلبه لإيقاف المنكرات عند حدها، ولا سيما أنّ الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو الجالس في مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله هذا أولاً.

وثانياً: إنه عليه السلام جاءته المبايعات بالخلافة من جزيرة العرب، وجاءه ثلاثون ألفاً من الخطابات من ثلاثين ألفاً من العراقيين من سكان البصرة والكوفة يطلبون فيها منه الشخوص لمشاركتهم في محاربة يزيد بن معاوية، وألحوا تكرار هذه الخطابات حتى قال رئيسهم عبد الله بن الحصين الأزدي: يا حسين سنشكوك إلى الله تعالى يوم القيامة إذا لم تلب طلبنا، وتقوم بنجدة الإسلام، وكيف والحسين ذو حمية دينية ونخوة إسلامية، والمفاسد تترى أمام عينيه، كيف لا يقوم بتلبية النداء، وعلى هذا الوضع لبى النداء، كما تامر به الشريعة الإسلامية، وتوجه نحو العراق). (الثائر الأول في الإسلام:٧٩)

وهذا الرأي وثيق للغاية فقد شُفع بالأدلة الشرعية التي حملت الإمام عليه السلام مسؤولية الجهاد والخروج على حكم طاغية زمانه.

٣. قال عبد الحفيظ أبو السعود: (ورأى الحسين أنّه مطالب بعد هلاك معاوية أن يعلن رفضه لهذه البيعة، وأن يأخذ البيعة لنفسه من المسلمين، وهذا أقل ما يجب حفاظاً لأمر الله، ورفعاً للظلم، وإبعاداً لهذا العابث يزيد بن معاوية عن ذلك المنصب العظيم). (سبط الرسول:١٣٣)

٤. ممن صرح بهذه المسؤولية الدينية الدكتور أحمد محمود صبحي قالاً: (في إقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من أُصول الدين من حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد وراثة الملك إلاّ بدعة هرقلية دخيلة على الإسلام، ومن حيث إنّ اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة، وميله إلى اللهو وشرب الخمر، ومنادمة القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أكبر وزر يحل بالنظام السياسي للإسلام. يتحمل وزره كل من شارك فيه ورضى عنه، فما بالك إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله. كان خروج الحسين إذن أمراً يتصل بالدعوة والعقيدة أكثر مما يتصل بالسياسة والحرب). (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية:٣٣٤)

٥. قال العلائلي: (هناك واجب على الخليفة اذا تجاوزه وجب على الأُمة إسقاطه، ووجبت على الناس الثورة عليه وهو المبالغة باحترام القانون الذي يخضع له الناس عامة، وإلا فأي تظاهر بخلافه يكون تلاعباً وعبثاً، ومن ثم وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخص آخر، وأكبر مسؤولية من هذه الناحية، فإذا فسق الملك ثم جاهر بفسقه وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلا خضوعاً للفسق وخضوعاً للفحشاء والمنكر، ولم يكن الاطمئنان إليه إلاّ اطمئناناً للتلاعب والمعالنة الفاسقة. هذا هو المعنى التحليلي لقوله عليه السلام: «ويزيد رجل فاسق، وشارب للخمر وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق»). (الإمام الحسين عليه السلام:٩٤)

هذه بعض الآراء التي أدلى بها جماعة من الباحثين في إلزام الإمام شرعاً بالخروج على حكم الطاغية يزيد، وأنّه ليس له أن يقف موقفاً سلبياً أمام ما يقترفه

يزيد من الظلم والجور.

ثانياً: المسؤولية الاجتماعية

كان الإمام عليه السلام بحكم مركزه الاجتماعي مسؤولاً أمام الأُمة عما منيت به من الظلم والاضطهاد من قبل الأُمويين، ومن هو أولى بحمايتها ورد الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، والدين دين جده، والأُمة أمة جده، وهو المسؤول بالدرجة الاولى عن رعايتها.

لقد رأى الإمام أنه مسؤول عن هذه الأُمة، وأنّه لا يجدي باي حال في تغيير الأوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت، وعدم الوثوب في وجه الحكم الأُموي المليء بالجور والآثام، فنهض عليه السلام بأعباء هذه المسؤولية الكبرى، وأدى رسالته بأمانة وإخلاص، وضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الإسلام وحكم القرآن.

ثالثاً: إقامة الحجة عليه

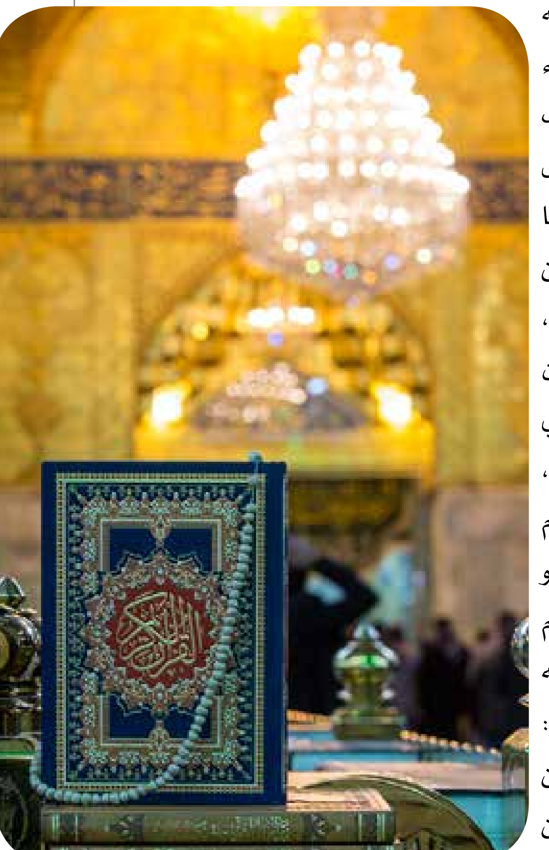
قامت الحجة على الإمام لإعلان الجهاد، ومناجزة قوى البغي والإلحاد، فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من أقوى حامية عسكرية في الإسلام، وهي الكوفة فكانت رسائل أهلها تحمله المسؤولية أمام الله إن لم يستجب لدعواتهم الملحة لإنقاذهم من عسف الأُمويين وبغيهم، ومن الطبيعي أنه لو لم يجيبهم لكان مسؤولاً أمام الله، وأمام الأُمة في جميع مراحل التاريخ، وتكون الحجة قائمة عليه.

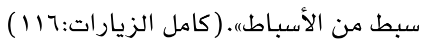
رابعاً: حماية الإسلام

من الواضح الأسباب التي ثار من أجلها حفيد الرسول صلى الله عليه وآله حماية الإسلام من خطر الحكم الاموي الذي جهد على محو سطوره، وقلع جذوره واقبار قيمه، فقد أعلن يزيد وهو على سدة الخلافة الإسلامية الكفر والإلحاد بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جـــاء ولا وحي نزل

وكشف هذا الشعر عن العقيدة الجاهلية التي كان يدين بها يزيد فهو لم يؤمن بوحي ولا كتاب، ولا جنة ولا نار، وقد رأى السبط أنه إن لم يثر لحماية الدين فسوف يجهز عليه حفيد أبي سفيان ويجعله أثراً بعد عين، فثار عليه السلام ثورته الكبرى التي فدى بها دين الله، فكان دمه الزاكي المعطر بشذى الرسالة، هو البلسم لهذا الدين، فإنّ من المؤكد أنه لو لا تضحيته لم يبق للإسلام اسم ولا رسم، وصار الدين دين الجاهلية ودين الدعارة والفسوق، ولذهبت سدى جميع جهود النبي صلى الله عليه وآله وما كان ينشده للناس من خير وهدى، وقد نظر النبي صلى الله عليه وآله من وراء الغيب واستشف مستقبل أمّته، فرأى بعين اليقين، ما تمنى به الأُمة من الانحراف عن الدين، وما يصيبها من الفتن والخطوب على أيدي أُغيلمة من قريش، ورأى أن الذي يقوم بحماية الإسلام هو الحسين عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله كلمته الخالدة: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط».(كامل الزيارات:١١٦)





فكان النبي صلى الله عليه وآله حقاً من الحسين عليه السلام لأنّ تضحيته كانت وقاية للقرآن، وسيبقى دمه الزكي يروي شجرة الإسلام على ممر الأحقاب والآباد.

خامساً: صيانة الخلافة

من الأسباب التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام هو تطهير الخلافة الإسلامية من أرجاس الأمويين الذين نزوا عليها بغير حق. فلم تعد الخلافة في عهدهم كما يريدها الإسلام وسيلة لتحقيق العدل

الاجتماعي بين الناس، والقضاء على جميع أسباب التخلف والفساد في الأرض.

لقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بشأن الخلافة باعتبارها القاعدة الصلبة لإشاعة الحق والعدل بين الناس، فإذا صلحت نعمت الأُمة بأسرها، وإذا انحرفت عن واجباتها فإنّ الأُمة تصاب بتدهور سريع في جميع مقوماتها الفكرية والاجتماعية.

ومن ثم فقد عنى الإسلام في شأنها أشد ما تكون العناية، فألزم من يتصدى لها بأن تتوفر فيه النزعات الخيرة والصفات الشريفة من العدالة والأمانة، والخبرة بما تحتاج إليه الأُمة في مجالاتها الاقتصادية والإدارية والسياسية، وحرم على من فقد هذه الصفات أن يرشح نفسه للخلافة



وقد تحدث عليه السلام في أولى رسائله إلى أهل الكوفة عن الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح نفسه إلى امامة المسلمين وادارة شؤونهم فقال عليه السلام: «فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والاخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله».(تاريخ الطبري:٦/١٩٧)

فمن اتصف بهذه الصفات كان له الحق في تقديم نفسه لإمامة المسلمين وخلافتهم، ومن لم يتصف بها فلا حق له في التصدي لهذا المركز الخطير الذي كان يشغله الرسول صلى الله عليه وآله.

إنّ خلافة رسول الله ليست مجرد سلطة زمنية على الأمة، وإنما هي خلافة إسلامية يقوم بها شخص بالنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وامتداد ذاتي لحكومته المشرقة صلى الله عليه وآله.

وقد رأي الإمام الحسين عليه السلام أنّ مركز جده قد صار إلى سكير مستهتر لا يعي إلاّ شهواته ورغباته، فثار عليه السلام ليعيد للخلافة الإسلامية كيانها المشرق وماضيها الزاهر.

سادساً: تحرير إرادة الأُمة

لم تملك الأُمة في عهد معاوية ويزيد إرادتها واختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعي فيها ولا اختيار، قد كبلت بقيود ثقيلة سدت في وجهها منافذ النور والوعي، وحيل بينها وبين إرادتها.

لقد عمل الحكم الأُموي على تخدير المسلمين وشل تفكيرهم، وكانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ أنّهم لا يتمكنون من متابعة قلوبهم وضمائرهم فقد استولت عليها حكومة الأمويين بالقهر، فلم يملكوا من أمرهم شيئاً، فلا إرادة لهم ولا اختيار، ولا عزم ولا تصميم فأصبحوا كالأنصاب لا وعي فيهم ولا حراك، قد قبعوا أذلاء «صاغرين تحت وطاة سياط الأُمويين وبطشهم».

لقد هب الإمام إلى ساحات الجهاد والفداء ليطعم المسلمين بروح العزة والكرامة، فكان مقتله نقطة تحول في تاريخ المسلمين وحياتهم، فانقلبوا رأساً على عقب، فتسلحوا بقوة العزم والتصميم، وتحرروا ومن جميع السلبيات التي كانت ملمة بهم، وانقلبت مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت جاثمة عليهم إلى مبادئ الثورة والنضال، فهبوا متضامنين في ثورات مكثفة، وكان شعارهم (يا لثارات الحسين) فكان هذا الشعار هو الصرخة المدوية التي دكت عروش الأمويين وأزالت سلطانهم.

سابعاً: تحرير اقتصاد الأُمة

لقد انهار اقتصاد الأُمة الذي هو شرايين حياتها

الاجتماعية والفردية فقد عمد الأمويون بشكل سافر إلى نهب الخزينة المركزية والإستئثار بالفيء وسائر ثمرات الفتوح والغنائم، فحازوا الثراء العريض، وتكدست في بيوتهم الأموال الهائلة التي حاروا في صرفها، وقد أعلن معاوية أمام المسلمين أنّ المال مال الله، وليس مال المسلمين فهو أحق به، ويقول سعيد بن العاص: إنّما السواد بستان قريش، وقد أخذوا ينفقون الأموال على أغراضهم السياسية التي لا تمت بصلة لصالح الأُمة.

أما مواد إنفاقهم البارزة منها:

أ: شراء الضمائر والأديان، وقد تقدمت الشواهد المؤيدة لذلك عند البحث عن سياسة معاوية الاقتصادية.

ب: الإنفاق على لجان الوضع لافتعال الأخبار التي تدعم الكيان الأُموي وتحط من قيمة أهل البيت، وقد ألمعنا إلى ذلك بصورة مفصلة.

ج: الهبات الهائلة والعطايا الوافرة للوجوه والأشراف لكم أفواههم عما تقترفه السلطة من الظلم للرعية.

د: الصرف على المجون والدعارة، فقد امتلأت بيوتهم بالمغنين والمغنيات وأدوات العزف وسائر المنكرات.

هذه بعض الموارد التي كان ينفق عليها الأموال، في حين أن الجوع قد نهش الأُمة وعمت فيها المجاعة، وانتشر شبح الفقر في جميع الأقطار الإسلامية سوى الشام فقد رفِه عليها لأنّها الحصن المنيع الذي كان يحمي جور الأُمويين وظلمهم.

وقد ثار الإمام الحسين عليه السلام ليحمي اقتصاد الأُمة ويعيد توازن حياتها المعاشية، وقد صادر أموالاً من الخراج كانت قد أُرسلت لمعاوية، كما صادر أموالاً أُخرى أُرسلت من اليمن إلى خزينة دمشق في أيام يزيد، وقد أنفقها على الفقراء والمعوزين، وكان عليه السلام أكثر ما يعاني من الآلام هو أنّه يرى الفقر قد أخذ بخناق المواطنين، ولم ينفق شيء من بيت المال على إنعاش حياتهم.

ثامناً: المظالم الاجتماعية

انتشرت المظالم الاجتماعية في أنحاء البلاد الإسلامية، فلم يعد قطر من الأقطار إلا وهو يعج بالظلم والاضطهاد من جورهم، وكان من مظاهر ذلك الظلم ما يلي:

أ: فقدان الأمن وانعدامه في جميع أنحاء البلاد، وساد الخوف والإرهاب على جميع المواطنين، فقد أسرفت السلطة الأُموية بالظلم، فجعلت تأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وتعاقب على الظنة والتهمة، وتسوق الأبرياء بغير حساب إلى السجون والقبور، وكان الناس في عهد زياد يقولون: (انج سعد فقد هلك سعيد) ولا يوجد أحد إلاّ وهو خائف على دمه، وماله، فثار الإمام الحسين عليه السلام لينقذ الناس من هذا الجور الهائل.

ب: احتقار الأُمة وكان الخط السياسي الذي انتهجه الأُمويون العمل على إذلال الأُمة والاستهانة بها وكان من مظاهر ذلك الاحتقار أنّهم كانوا يختمون في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم كما نقشوا على أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة.(تاريخ التمدن الإسلامي:٤٣٠)

وقد هب الإمام عليه السلام في ميادين الجهاد ليفتح للمسلمين أبواب العزة والكرامة، ويحطم عنهم ذلك الكابوس المظلم الذي أحال حياتهم إلى ظلام قاتم لا بصيص فيه من النور.

هذه الأسباب التي ذكرت بعض ما كان يعيشه المجتمع الإسلامي في حكومة بني أُميّة ومن أجلها ثار الإمام الحسين عليه السلام بوجه الظلم.

الشيخ القرشي

قتلة الإمام الحسين عليه السلام
شيعة آل أبي سفيان

هل أنّ شيعة الحسين عليه السلام هم الذين قتلوه؟

إنّ الواقع خلاف ذلك، فإنّ الذين قتلوه عليه السلام هم شيعة آل أبي سفيان، بدليل خطاب الإمام الحسين عليه السلام إليهم يوم عاشوراء: «وَيْلَكُم يَا شيعَةَ آل أَبي سُفْيَانَ إنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لاَ تَخَافُونَ المَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً في دُنْيَاكُمْ هَذِهِ وَارْجِعُوا إلَى أَحْسَابِكُمْ إنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُون». (اللهوف على قتلى الطفوف: ١٢٠)

حاشى لله أن يكون الذين قتلوه هم شيعته، بل الذين نصبوا العداوة وظلموه وقتلوه بعضهم أهل طمع لا يرجع إلى دين، وبعضهم أجلاف أشرار، والآخر اتبعوا رؤساءهم الذين قادهم حبّ الدنيا إلى قتاله، ولم يكن فيهم من شيعته ومحبيه أحد.

أمّا شيعته المخلصون فكانوا له أنصاراً، وما برحوا حتى قتلوا دونه، ونصروه بكلّ ما في جهدهم إلى آخر ساعة من حياتهم، وكثير منهم لم يتمكّن من نصره، أو لم يكن عالماً بأنّ الأمر سينتهي إلى ما انتهى إليه، وبعضهم خاطر بنفسه وخرق الحصار الذي ضربه ابن زياد على الكوفة، ولحق بالإمام عليه السلام وجاء لنصره حتّى قتل معه.

أمّا أنّ أحداً من شيعته ومحبّيه قاتله فذلك لم يكن، وهل يعتقد أحد أنّ شيعته الخلّص كانت لهم كثرة مفرطة؟ كلاّ، فما زال أتباع الحق في كلّ زمان أقلّ قليل، ويعلم ذلك بالعيان، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. [سبأ: ١٣]

إنّنا لم نجد أحداً من علماء الرجال أدرج أسماء الذين قتلوا الحسين عليه السلام كأمثال عمر بن سعد، وشبث بن ربعي، وحصين بن نمير، ومحمد ابن الأشعث وغيرهم ضمن رجال الشيعة، بل النصوص تدلّ على أنّهم من جمهور المسلمين.

وأمّا أنّ أهل الكوفة ممّن أرسلوا إلى الإمام الحسين عليه السلام برسائل تدعوه للمجيء إلى الكوفة، لا يدلّ أيضاً على أنّهم شيعته عليه السلام، لأنّهم كانوا يتعاملون مع الإمام الحسين عليه السلام باعتباره صحابياً، وسبط الرسول صلى الله عليه وآله، وله أهليّة الخلافة والقيادة، لا باعتبار أنّه إمام من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وأنّه معصوم مفترض الطاعة، وأنّه أحقّ من غيره بخلافة المسلمين.

إنّ شيعة الكوفة لم تقتل الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما أهل الكوفة من غير الشيعة قتلوه عليه السلام بمختلف قوميّاتهم ومذاهبهم.

نعم إنّ أكثر الشيعة في الكوفة، لكن ليس أكثر الكوفيين هم شيعة، والدليل على أنّ الشيعة كانوا أقلية في الكوفة، قولهم في المسجد عندما أراد أمير المؤمنين علي عليه السلام في أيام خلافته أن يمنع من صلاة التراويح بالضجيج: وا سنّة عمراه. (الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله: ٢/ ١٤٩)

إنّ الحكّام قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام جهدوا في تضعيف الشيعة وتفريقهم عن بعضهم البعض، كي لا تكون هناك قوّة موالية لأمير المؤمنين علي عليه السلام تقف بوجههم.

منذ أن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خطّط لتضعيف الشيعة ومنع حقوقهم كمسلمين، بل وقام معاوية لعنه الله بتهجير الشيعة من الكوفة إلى الصحاري، فضلاً عن قتلهم واعتقالهم في السجون.



هل كان لفاطمة عليها السلام قرآنٌ؟

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامِي، قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام سِتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ».

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ شِيعَتَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلَّمَ عَلِيّاً عليه السلام بَاباً يُفْتَحُ لَهُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ! قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ».

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللهِ الْعِلْمُ؟! قَالَ: فَنَكَتَ سَاعَةً فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَامِعَةَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَامِعَةُ».

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا الْجَامِعَةُ؟ قَالَ: «صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِمْلَائِهِ مِنْ فَلْقِ فِيهِ وَخَطِّ عَلِيٍّ بِيَمِينِهِ فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى الْأَرْشُ فِي الْخَدْشِ»، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ فَقَالَ: «تَأْذَنُ لِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ»؟ قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ وَقَالَ: «حَتَّى أَرْشُ هَذَا»، كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ.

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللهِ الْعِلْمُ! قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَفْرَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَفْرُ».

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْجَفْرُ؟ قَالَ: «وِعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ وَالْوَصِيِّينَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ! قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ عليها السلام وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام».

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟ قَالَ: «مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَاللهِ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ».

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللهِ الْعِلْمُ! قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا وَاللهِ هُوَ الْعِلْمُ! قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ».

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟ قَالَ: «مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (الكافي:١/٢٣٩)

الحديث الشريف ورد فيه ذكر (مصحف فاطمة)، فهناك من أخذ لفظة المصحف بمعنى القرآن، وتصوّر أنّ للشيعة قرآناً آخر، وقام بطرح مسائل عديدة منها: هل كان رسول الله والصحابة يعرفون قرآن فاطمة؟

الجواب:

إنّ السائل يتصوّر أنّ لفظة (مصحف) هي بمعنى القرآن في لغة العرب، وكذا في عصر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، والحال أنّ لفظة (مصحف) أُخذت من لفظة (صحيفة) وهي بمعنى مطلق الكتاب.

وقد جاءت هذه الكلمة في القرآن أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.[التكوير:٨١]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾.[الأعلى:٨٧]

كما أنّ التاريخ شاهد على أنّ (المصحف) في صدر الإسلام كان يُطلق على الدفتر أو الكتاب المجلّد، وحتّى بعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن المصحف اسماً للقرآن بل كان اسماً لكلّ كتاب مجلَّد.

ينقل ابن أبي داود السجستاني في باب جمع القرآن في مصحف، عن محمّد بن سيرين: عندما توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله أقسم عليّ على أن لا يضع رداءه على عاتقه إلاّ لصلاة الجمعة حتّى يجمع القرآن في مصحف.

كما ينقل ابن أبي العالية: أنّهم جمعوا القرآن في حكومة أبي بكر في مصحف.

ونُقل أيضاً: أنّ عمر بن الخطّاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقُتل يوم اليمامة فقال: إنّا لله، وأمر بالقرآن فجُمع، وكان أوّل من جمعه في مصحف. (كتاب المصاحف للسجستاني:١٦)

وهذه الجمل المنقولة تحكي أنّ المصحف في تلك الأيّام بمعنى الكرّاس الكبير أو الكتاب المجلّد، يوضع لحفظ الأوراق المبعثرة، وبمرور الزمن أصبح المصحف مختصّاً بالقرآن.

والجدير بالذكر أنّ روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام تحكي أنّه حتّى في زمانهم كان لفظ المصحف بمعنى الكتاب والدفتر المكتوب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ مُتِّعَ بِبَصَرِهِ وَخُفِّفَ عَنْ وَالِدَيْهِ وَإِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ».(الكافي:٢/٦١٣)

وقال عليه السلام أيضاً: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ تُخَفِّفُ الْعَذَابَ عَنِ الْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ». (الكافي:٢/٦١٤)

ونقل المؤرّخون حول ترجمة خالد بن معدان: الحمصي (المتوفّى ١٠٤ هـ) ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه، كان علمه في مصحف له أزرار وعرى.(تذكرة الحفاظ:١/٩٣)

وخالد بن معدان من التابعين وقد أدرك سبعين صحابيّاً.(اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير:٣/١٢٣)

إلى هنا يتّضح أنّه إلى آخر القرن الأوّل كان لفظ (المصحف) بمعنى الكتاب المجلّد، والكرّاس المجلّد الذي يكتب فيه العلماء والمتعلّمون علومهم، فإذا سمّوا بعد ذلك القرآن مصحفاً، فإنّه بسبب تبادر ذلك إلى أذهانهم بعدما كُتب في الأوراق، وجُمع على شكل كتاب مجلّد.

وبالالتفات إلى ما ذكرنا، يزول ذلك العجب من أن يكون لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصحف جمعت فيه علومها لتتركه لأبنائها من بعدها كأفضل ميراث وأعزّ ذكرى.

ومن حسن الحظّ فإنّ أبناء فاطمة عليها السلام يعرفون حقيقة هذا المصحف؛ فذكروا أنّه ليس إلاّ قسماً من الأخبار التي سمعتها عليها السلام من أبيها صلى الله عليه وآله ومن الملائكة (لأنّها محدَّثة) وليس شيئاً آخر.

فعن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «مُصْحَفُ فَاطِمَةَ مَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أُلْقِيَ عَلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا صلى الله عليه وآله». (بصائر الدرجات:١/١٥٩)

فظهر ممّا ذكرنا أنّه كان عند فاطمة مصحف، حسب ما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصّاً بالقرآن حتّى تختصّ بنت المصطفى بقرآن خاصّ، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

الشيخ جعفر السبحاني

من صفـــات المؤمنين

كراهية الرِّفعة والسمعة

من الصفات التي أكّد عليها أمير المؤمنين علي عليه السلام والتي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن قوله: «يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ».

فالمؤمن لا يرغب في ارتفاع المنزلة والقدر أمام الناس، ويكره التعامل معه بالمنازل والمناصب، وهو يتجنب السّمعة والمنصب، ويبغض أنْ يكون من أصحاب السّمعة أو أصحاب المناصب والمنازل الرفيعة والمقامات الدنيوية الفانية.

لأنّ طلب الرفعة والمنزلة والسمعة هي مما تبعّد المؤمن عن الله تبارك وتعالى، وهو القائل عزّ وجل: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. [لقمان:١٨]

وفي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام في قَوْلِهِ ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ قال: «أَيْ بِالْعَظَمَةِ». (تفسير القمي: ٢/ ١٦٥)

وَعَن مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: «لِيَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً». (الكافي: ١/ ٤٢)

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام بغض المؤمن للمناصب والمنازل الرفعية وطلب السمعة بشكل جلي فيما سبق.

حالة الغم والهم عند المؤمن

ووصف أمير المؤمنين علي عليه السلام المؤمن بقوله: «طَوِيلٌ غَمُّهُ بَعِيدٌ هَمُّهُ».

ذلك أنّ طول الغمّ هو بقاء الحزن الحاصل للقلب بسبب ما، فامتداد الحزن عند المؤمن كما ذكره عليه السلام هو في قلبه، وعدم إظهاره إلى الناس هي من صفات الإيمان ومن خصائص المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

فكلّما كان المؤمن مغموماً في قلبه يبدأ بالتقرب إلى الله تعالى، ولا يكون التقرب إلاّ بالتوجه القلبي إلى الله تبارك وتعالى.

وقد يفهم من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّ الغم الوحيد هو غم التقصير مع الله تبارك وتعالى، فإنْ طال هذا الغم فهو محمود، لأنّ امتداد حزن الإنسان في قلبه إذا كان لله تعالى فهو المرجو منه، ويعدّ صفة من صفات المؤمنين.

وبُعد الهم هو عدم

احتمال مَا يَشْغَلُ فكر الإنسان من أمور الدنيا، وهو ما يُـوَرِّقُ فكر الإنسان ويشغله بالدنيا وما فيها، يؤثر في سيرته وحياته الشخصية بل وعلاقاته مع المجتمع ومع إخوانه، فضلاً عن ارتباطه مع البارئ عزّ وجل، ولذلك اعتبر بُعد الهم من صفات المؤمنين.

المؤمن مشغول بالآخرة

ووصف أمير المؤمنين علي عليه السلام عليه السلام المؤمن أيضاً بأنّه: «كَثِيرٌ صَمْتُهُ مَشْغُولٌ وَقْتُهُ»؛ ووردت روايـات متواتـرة ومستفيضة عن العـترة النبوية الطاهرة في قلّة الكلام وكثرة السكوت، فإنّ الإنسان تظهر شخصيته من كلامه وما ينطق به لسانه، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه». (نهج البلاغة: ٤/ ١٣٧)

فاللسان هو وسيلة الإنسان المفصحة عن كنه معدنه وحقيقة أدبه وأخلاقه، وباللسان تُعرف الرجال، وتبرز المواهب والمعارف، ولأهمية اللسان كان وسيلة شكر الله تعالى وتسبيحه وتحميده، وآلـة العبادة والدعاء والمناجاة، وقـوام الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد، ومفتاح استقامة قلب الإنسان، وهو خادم الجوارح المعرب عن مقاصدها والموصل إلى مآربها.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إِذَا أَصْبَحَ ابنُ آدَمَ أَصْبَحتِ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَسْتَكْفِي اللِّسَانَ، أي تقول: اتـقِّ اللهَ فِيْنَا، فإنّما نَحْنُ بِـكَ،إن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا». (كشف الغمة: ١/ ١٨٨)

فإذا كان اعوجاج اللسان فالصمت هو أفضل طريق له أولاً، وبالنهاية استقامة المرء.

ولقد حذّر الإسلام كلّ الحذر من إطلاق عنان اللسان، وفي المقابل ومدح الصمت حتى اعتبره باباً من أبواب الحكمة والنجاة والإحسان، وأمر الناس بخزن كلامهم كما تخزن الذهب والفضة، وأن لا يسرفوا في الكلام، لأنّه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ شُؤْمٌ فَفِي اللِّسَانِ». (الكافي: ٣/ ١١٦)

إنَّ أخطر شيء على الإنسان المؤمن هو اللسان، فمزالقه كثيرة، وحصاده السيئ وافرٌ في جميع المواسم وعلى كافة الأصعدة، وميدانه رحب ومؤونته خفيفة، لأنّه لا عناء في تحريكه ولا كلفة في إفراطه، فبإمكان العبد أن يُطْلق عنان لسانه على عيوب الناس وزلاتها وعوراتها بأدنى كلفة وتعب، ولكنّه سيكون بعد ذلك في الدرك الأسفل من جهنم، وسيخاف الناس لسانه لما فيه من الأذية لهم، وسيكرمه الناس اتّقاء شرّ لسانه التابع للشيطان والخادم بين يديه، يقدّم له العون في مجال إفشاء عيوب الناس، وإظهار عوراتهم، وكشف أسرارهم، ولكن على سالك هذا الطريق الخطر أن يسمع ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي وصية جامعة لكل معاصي اللسان.

أما قوله عليه السلام «مَشْغُولٌ وَقْتُهُ»، أي إنّه مشغول بالآخرة ليس بالدنيا، بل وشغل المؤمن مع الله تبارك وتعالى وليس مع غيره.

ووردت الروايات الشريفة في تقسيم أوقات المؤمن إلى أربع ساعات كما جاء عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قوله: «اجْتَـهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَـعَ سَاعَاتٍ: سَاعَةً لِمُنَاجَاةِ اللهِ، وَسَاعَةً لأَمْرِ الْمَعَاشِ، وَسَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الإِخْوَانِ وَالثِّقَاتِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَيُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ، وَسَاعَةً تَخْلُونَ فيهَا لِلَذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثِ سَاعَاتٍ...». (تحف العقول: ٤١٠)

بيّن الإمـام الكاظم عليه السلام ساعات المؤمن في اليوم الـواحـد وقسّمها إلى أربـعـة أقسام، حسب ما يحتاجه الإنسان في اليوم الواحد، إذ ركّز عليه السلام على الجوانب المهمة في حياة الإنسان؛ فأعطى للعبادة ربع النهار، ولطلب المعيشة ربع النهار، والربع الثالث لمجالسة الأخوان والمباحثة والاجتهاد وطلب العلم، والربع الأخر للخلوة فيما حلّ الله من ملذات الدنيا، وقد بيّن عليه السلام مدى أهمّية هذا الربع الأخير ألا وهو إعانة المؤمن على باقي ساعاته؛ وقد يشمل ما أحلّ الله للمؤمنين من النوم والأكل والشرب والخلوة

مع الأهل والعيال.

وكما أنّ للعبادة نتائج أخروية، فكذلك طلب الرزق والعيش الحلال فيه نتائج أخروية، فضلاً عن النتائج الدنيوية، فعَن الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام أنه قال: «الْكَادُّ عَلَى عِيَالِه كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّه». (الكافي: ٥/ ٨٨)

والمجالسة مع الإخوان وطلب العلم كذلك لها آثار أخروية فضلاً عن آثارها الدنيوية، فعن النَّبِيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «...طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ». (مصباح الشريعة: ١٣)

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أَيْ عِلْمِ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ». (مصباح الشريعة: ١٥)

وعنه عليه السلام قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ». (المحاسن: ١/ ٢٢٥)

أمّا الربع الأخير من اليوم فله جزاء أخروي أيضاً، فضلاً عن الإعانة الدنيوية كما بيّنها الإمام الكاظم عليه السلام في حديثه المبارك.

صبر المؤمن وشكره

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفات المؤمن أيضاً: «شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِه، ضَنِينٌ بِخَلَّتِه».

يؤكّد عليه السلام في روايته الشريفة على أنّ المؤمن كثير الشكر لله تعالى، وقد يلهج لسانه بالشكر دائماً وفي جميع الأوقات؛ وقال عليه السلام أيضاً: «المؤمن هَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَشُغْلُهُ الذِّكْرُ». (سليم بن قيس: ٢/ ٨٥١)

لا يخفى أنّ النعم الإلهية لا تعدّ ولا تحصى بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾. [النحل: ١٨]

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بكل شيء، وأوّل النعم هي نعمة الخلق، وتلي نعمة الإسلام والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وخلق الله تعالى الإنسان من نطفة وأحاطها بما يحميها في رحم الأم، ورزقه من رحمته ثم أخرجه إلى الدنيا، وأرسل رزقه من السماء حتى أصبح يمشي ويعمل ويكدّ.

هذا جزء بسيط من النعم الإلهية وهي لا تعد ولا تحصى، وإذا أراد الإنسان أن يحصيها، فعلى ماذا يستطيع المرء شكره تعالى؟! أعلى الطبيعة التي سخّرها الله تعالى له، أم على خلقته، إذ خلقه بشراً سوياً ولم يشوّه خَلقه وخُلقه؛ فالمؤمن الحقيقي هو من كان دائم الشكر لله تعالى على كل نعمة أنعم بها عزّ وجل، فضلاً عن أنّه يكون لسانه لهجاً بذكر الله عزّ وجل، وكذلك جوارحه وبدنه.

والشكر يكون بأنواع ثلاثة: إمّا بالقلب، أو باللسان، أو بالجوارح، الشكر بالقلب هو إظهار الشكر لله بالتحميد؛ وأما بالجوارح، فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته؛ فشكر العينين أن يسترهما عن النظر إلى كل حرام، وشكر الأذنين أن يسترهما عن سمع كل حرام؛ وأما الشكر باللسان؛ فهو إظهار الرضى عن الله تعالى، وهو مأمور به؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «التحدث بالنعم شكر». (من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله: ١٦)

أما قول أمير المؤمنين عليه السلام عن صبر المؤمن يدلّ على صفة جعلها الله تبارك وتعالى للمؤمنين وقد وصف الإمام عليه السلام الفئة القليلة من الناس بهذه الخصلة الحميدة.

والصبر هو: تحمل ما نزل بالإنسان، أو عدم الشكوى مما يصاب به المرء في هذه الدنيا.

فمرّة يصبر المؤمن على ما نزل به من شخص ما ويحبس نفسه ويمنعها عنه؛ وأخرى يصبر على البلاء والابتلاء، فالاثنان من الخصال الحميدة في الشريعة الإسلامية.

وقيل إنّ الصبر هو التحلي بالحلم وعدم إظهار الغضب لأي أمر كان، إلاّ ما نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبون الطاهرون في مواجهته، وهو كل ما يمسّ الدين أو العرض أو المال والنفس.

ومن صفات المؤمنين هو عدم إظهار كل ما لديه من أموره الخاصة، إلاّ ما كان ينفع الناس كالعلم النافع والنصيحة، أمّا ما كان خاصاً لنفسه فلا يبوح به، فضلاً عن التزامه بما قدّره الله له من الرزق الحلال، ولا يشكو المؤمن من الضيق في عيشه.

خُلق المؤمن

قال الإمام علي عليه السلام في أخلاق المؤمن: «سَهْلُ

الْخَلِيقَة لَيِّنُ الْعَرِيكَة».

السهل بمعنى لَيِّنٌ، وهو الممتنع الذي لا يمكن تقليده أو مضاهاته، وهو السلس والسمح، وفيه سهولة ومرونة، بمعنى اليسير في جميع الأمور.

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخلاق المؤمن بالسهولة ليبيّن مدى أهمية الإسلام بالسماحة والمرونة والسهولة، وأن لا يجعل من الصغائر أموراً تصبح أكبر من حجمها، وأن يميل الإنسان إلى اللين وقلّة الخشونة.

وقد أكّدت الروايات على أنّ الإسلام دين السماحة واللّين، وبيّنت الشريعة الإسلامية على أنّ العبد يجب أنْ يكون واضحاً سهلاً دون صعوبة في التعامل مع الآخرين.

والإنسان كلّما خفّف من الخشونة والضغط على نفسه وعلى الآخرين يكون أقرب إلى صفات المؤمن، حيث يجعل أموره الدنيوية والأخروية ميسّرة.

وأشار عليه السلام إلى أنّ المؤمن يجب أن يكون ليناً في أخلاقه، وأن تكون طبيعته سهلة، سواء مع أهله أو مع المجتمع وإخوانه.

فالإنسان الصلب لا يمكنه العيش مع المجتمع وبين الناس، فمن كان فيه خصلة العنف سواء في كلامه أو في عمله، قد ينبذه المجتمع ولا يمكنه العيش مع الآخرين، وكلّما كان المؤمن لطيفاً ويسيراً كلما استطاع أن يدخل إلى قلوب الناس، وقد يؤثّر كلام المؤمن اللّين في الناس أكثر مما يؤثّر كلام الإنسان الخشن والصعب.

أنّ سهولة طبيعة الإنسان ولين قلبه يجعله قريباً من الله تبارك وتعالى، فاللين هي الأرض الخصبة والمهيّأة لكي تزرع من حب الله وذكره عزّ وجل، فهو تعالى أقرب إلى العبد السهل واللين وأبعد من الفرد الخشن الصلب.

نفس المؤمن

وقال عليه السلام أيضاً في صفات المؤمن: «نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْد».

يفهم من كلام المولى سلام الله عليه أنّ النفس هي الروح البشرية، أو طبيعة الإنسان أي الفطرة ومزاج الإنسان، وبما أنّ خلق المؤمن يجب أن يكون ليّناً بطبيعة الحال فطرته فكذلك مزاجه يجب أن يكون صلباً وقوياً أمام الفتن والأخطار التي تحدق بالإنسان لتبعده عن الله عزّ وجل وعن ذكره سبحانه وتعالى.

فنفس الإنسان وفطرته تحتاج إلى قوة شديدة أقوى من الحجر الأملس، كما يعرف بـ(الصلد) هو ما لا يمكن أن ينبت شيء عليه، فوجدان المؤمن يجب أن يكون كالصلد ونفسه أشد وأقوى من الصلد لكي لا يتأثّر بالفتن والأخطار والأهواء الشيطانية، فضلاً عن ذلك ينبغي على المؤمن أن يكون أشدّ خضوعاً من العبد المملوك، الذي لا حول ولا قوة، حتى إذا وقف قلبه في أي لحظة يموت، فيكون نسياً منسياً، تقلبه التراب.

ومن صفات المؤمن أن يكون أشد العباد خضوعاً وأذلّهم أمام ربّ العزّة والجلالة، لأنه العبد الرَقيق، لا يملك شيئاً من نفسه.

وهذا أمير المؤمنين سلام الله عليه يبيّن خصالاً للمؤمن الموالي، تخالف الشهوات والهفوات، ولا تتناسب مع الهوى والنفس الأمارة بالسوء، فضلاً عن كون المؤمن يجب أن يكون السهل اللين واليسير ليتمكن الناس من التواصل معه في أمورهم الدنيوية والأخروية، ومساعدة الأخوان في أمورهم من الواجبات التي أكّدت عليها الشريعة الإلهية.





صفات المتقين والعارفين

صفات المتقين

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ لأَهْلِ التَّقْوَى عَلاَمَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا صِدْقُ الْحَدِيثِ وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَقِلَّةُ الْفَخْرِ وَالْبُخْلِ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ وَرَحْمَةُ الضُّعَفَاءِ وَقِلَّةُ الْمُوَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَسَعَةُ الْحِلْمِ وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِي مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَطُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب...». (أعلام الدين في صفات المؤمنين:١٢٢)

قال علماء اللغة إن التقوى هي الوقاية من الانزلاق في المآثم والتحصّن من الوقوع في الأخطاء التي نهى عنها الدين القويم، وأهل التقوى قد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة جامعة مانعة، موجزة شاملة كاملة، وكلها صفات إنسانية لا غنى لأيّ مسلم مؤمن عنها.

فالصدق صفة واجبة على كل إنسان وقد أمرنا الله بها في كتابه المبين، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾. [الإسراء:٨٠]

وقال تعالى أيضاً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. [الزمر:٣٢-٣٣]

وأداء الأمانة ألزم بها الله عزّ وجل المؤمنين وقد وصف ذاته القدسية بالوفاء فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التوبة:١١١]

فلا أحد أوفى بعهده ولا أصدق في إنجاز وعده، من الله جل جلاله.

قلة الفخر يعني التواضع

التواضع من الأخلاق الإسلامية النبيلة والفاضلة، وهو نعمة سماوية وهالة قدسية تحصن صاحبها بالجلالة والوقار ولذلك دعا الله عز وجل رسوله الكريم ليتواضع ويلين جانبه مع الناس.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. [آل عمران:١٥٩]

البخل

لقد حذّر الله من البخل وأنّب البخلاء وشجع على الكرم وأحب الكرماء، والفضل كله من عنده سبحانه وتعالى.

قال عزّ وجل: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. [آل عمران:١٨٠]

صلة الأرحام

صلة الرحم شجرة طيبة جذعها الإيمان، وفروعها صفاء القلب، وثمارها المحبة وجمع الشمل وهي صفة إنسانية دعا إليها الإسلام لأنّها ركن متين لتثبيت التآلف بين أفراد العائلة والأقارب، وقد دعا إليها الله عز وجل في كتابه العزيز وجعلها

بمرتبة التقوى لأهميتها وسمو مكانتها.

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا ﴾.[النساء:١]

رحمة الضعفاء

إذا كان الله تبارك وتعالى قد وصف نفسه بالرّحمة الواسعة أفلا يطلب إلينا أن يترحم بعضنا بعضاً؟ لا ريب أن رحمة الضعفاء تعني مساعدتهم وإيمانيتهم والإحسان إليهم، والإحسان صفة إنسانية تشمل كل أعمال الخير التي تهذب نفسية المرء وتقربه من خالقه؛ قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين ﴾.[القصص:٧٧]

بذل المعروف

لا ريب أنّ بذل المعروف صفة من صفات الإحسان إلى الناس، فالمؤمنون إخوة وعلى الأخ أن يعمل المعروف بقدر طاقته من أجل غيره قربة إلى الله تعالى؛ ولا يخفى أن اليد العليا خير من اليد السفلى على حد قول الرسول الأعظم والذي يعمل المعروف فكأنه يعمله لنفسه ليكسب الأجر والثواب، وقد رغّب الله في الإتيان بالحسنات بقوله: ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُون ﴾.[الأنعام:١٦٠]

وقال تعالى أيضاً: ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون ﴾.[النمل:٨٩]

وقوله عزّ وجل: ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُون ﴾.[القصص:٨٤]

حسن الخلق

من آداب الإسلام الأخلاق النبيلة والسلوك الحسن مع الناس جميعاً، والله عزّ وجل أحبّ للإنسان المؤمن التخلق بالأخلاق الحسنة وقد وصف بها الرسول الأعظم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم ﴾.[القلم:٤]

سعة الحلم واتباع العلم

ما أفضل العلم إذا اقترن بالحلم فإنه غاية الرجاء في تحقيق المثل العليا في الحياة السعيدة الراقية، وقد وصف الله تعالى نفسه بالحليم، قال تعالى: ﴿ ...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيم ﴾.[البقرة:٢٣٥]

كما وصف نبي الله إبراهيم الخليل بالحليم لسمو أخلاقه ونبل سلوكه وحسن معاملته وشدة صبره، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب ﴾.[هود:٨٥]

والإنسان الحليم محبوب في مجتمعه سموح كريم لا يعرف الحقد لقلبه مكاناً ولا يحسد أحداً كبيراً كان أم صغيراً، ولا يضمر الشّر لأحد قريباً كان أم بعيداً، يبادل الإساءة بالإحسان ويصبر على أذى الأصحاب والخلان لأنّ الناس في نظره كلهم عباد الله وأقربهم إليه أنفعهم لعباده.

إلى جانب حلمه هذا يسعى في اكتساب العلم لينفقه إلى المحتاجين ويهديهم إلى سواء السبيل قربه إلى الله تعالى.

فتأمل معي أيها الأخ المؤمن كيف يبدو لنا أمير المؤمنين من خلال هذا الحديث الكامل الشامل والجامع المانع الذي حوى كلّ الفضائل والمثل التي تقرب الإنسان من ربه وتعرفه على نعم خالقه، فأيّ كلام بعد هذا يمكن أن نقول عن سيد الكلام الذي وصف الأدباء كلامه فقالوا: هو تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

هذه الصفات التي عددها أمير المؤمنين هي صفات أهل التقوى من المسلمين المؤمنين: فطوبى لهم وحسن مآب!

صفات العارفين

أما صفات العارفين فقد حددها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «جُمِعَ الْخَيْرُ كُلُّه فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: النَّظَرِ، وَالسُّكُوتِ، وَالْكَلَامِ؛ فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَهُوَ سَهْوٌ، وَكُلُّ سُكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ؛ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظَرُهُ عِبَرَةً، وَسُكُوتُهُ فِكْرَةً، وَكَلَامُهُ ذِكْراً، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِه وَأَمِنَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ».(تحف العقول:٢١٥)

هذه الصفات لا يتصف بها إلاّ العارفون بربهم والمنيبون إلى خالقهم وهي لا تنطبق إلا على أهل البيت عليهم السلام وعلى المهتدين بهديهم، فهم كما قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَبَيْتُ الرَّأْفَةِ وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ».(بصائر الدرجات:١/٥٨)



خصوصية اسم فاطمة عليها السلام

كم شأن وخصوصية لاسم (فاطمة) عند الأئمة الأطهار عليهم السلام وشيعتهم، وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يولون هذا الاسم أهمية كبيرة لما لأُمّهم الزهراء عليها السلام من منزلة عظيمة فكرامة لها أصبح اسمها الشريف أينما سُمّيت به فتاة فعلى والدها الإحسان إليها وعدم الإساءة لها حباً للزهراء عليها السلام.

فقد روى الكليني عن السكوني، قال: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللّه عليه السلام وَأَنَا مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ فَقَالَ لِي: «يَا سَكُونِيُّ مِمَّا غَمُّكَ؟»، قُلْتُ: وُلِدَتْ لِي ابْنَةٌ، فَقَالَ: «يَا سَكُونِيُّ عَلَى الأَرْضِ ثِقْلُهَا، وَعَلَى اللّهِ رِزْقُهَا، تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجَلِكَ وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ»، فَسَرَّى وَاللّهِ عَنِّي، فَقَالَ لِي: «مَا سَمَّيْتَهَا؟»، قُلْتُ: فَاطِمَةَ، قَالَ: «آهٍ، آهٍ، آهٍ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ إِذَا كَانَ ذَكَراً أَنْ يَسْتَفْرِهَ أُمَّهُ، وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ كِتَابَ اللّهِ، وَيُطَهِّرَهُ، وَيُعَلِّمَهُ السِّبَاحَةَ، وَإِذَا كَانَتْ أُنْثَى أَنْ يَسْتَفْرِهَ أُمَّهَا، وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهَا، وَيُعَلِّمَهَا سُورَةَ النُّورِ، وَلاَ يُعَلِّمَهَا سُورَةَ يُوسُفَ، وَلاَ يُنْزِلَهَا الْغُرَفَ، وَيُعَجِّلَ سَرَاحَهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، أَمَّا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلاَ تَسُبَّهَا، وَلاَ تَلْعَنْهَا، وَلاَ تَضْرِبْهَا»). (الكافي:٦/٤٨)

خصوصية أسماء الزهراء عليها السلام

عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: «لِفَاطِمَةَ عليها السلام تِسْعَةُ أَسْمَاءٍ عِنْدَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاطِمَةُ وَالصِّدِّيقَةُ وَالْمُبَارَكَةُ وَالطَّاهِرَةُ وَالزَّكِيَّةُ وَالرَّضِيَّةُ وَالْمَرْضِيَّةُ وَالْمُحَدَّثَةُ وَالزَّهْرَاءُ». (أمالي الصدوق:٥٩٢)

من الأمور المهمة التي أخذت جانباً وحيزاً واضحاً في الشريعة الإسلامية وأكّد عليها الرسول الأعظم محمد صلى اللّه عليه وآله والأئمة عليهم السلام من خلال أحاديثهم المباركة مسألة تسمية المولود باسم مبارك يدل على معنى لائق وجميل وحسب ما ترتضيه النفس المؤمنة ويميل إليه الوجدان الإنساني.

ذلك لأنّ الاسم الذي يمنحه الأب أو الأم للمولود يكون ذا أثر كبير ومهم في النفس الإنسانية حيث أثبتت البحوث العلمية المتأخرة التي قام بها علماء النفس والاجتماع أن للاسم أثراً بالغاً على منشأ تصرفات وسلوك الأفراد الذين يحملون ذلك الاسم، وإن كانت هذه المسألة تتفاوت في مدى تأثيرها على السلوك الفردي للإنسان من فرد إلى آخر إلاّ أنّه في النتيجة النهائية يترك بعض الآثار المعينة الواضحة البرهان لذلك المعنى الذي يحمله الاسم، على أن هذه الأمور الواضحة تدرك بأدنى تأمل لدى الإنسان الواعي الفطن الذي يدرك الكثير من الحقائق المعنوية قبل أن تطرق ذهنه وسمعه.

تسمية الطفل الآثار والجوانب

هذا الموضوع الذي قد يبدو عادياً في ظاهره، مهم للغاية من وجهة النظر الواقعية، حيث لا يمكننا أن نغض الطرف عن الآثار النفسية الإيجابية التي يمكن أن يخلفها الإحساس الداخلي بالفخر، الذي يعد أحد العوامل التي تسبب الراحة النفسية للإنسان.

وعلى هذا الأساس نجد أن هناك تمايزاً واضحاً في الأسماء التي تطرح وتعطى لأيّ فرد، حيث نجد أن الكثير من الأسماء التي حملها بعض الأفراد وإن كانت ذات مغزى لطيف وأصيل وحسن إلاّ أنّ المسمى بها غير منزه بل إنّه مثلاً يدل على خلاف اسمه، وهذا بخلاف ما نجده في بعض الأسماء التي تحمل معنى قبيحاً وصاحبها ذو أصالة وأخلاق حسنة وأفعال جميلة.

وهكذا نجد من خلال استقراء سيرة التاريخ في هذا المجال أن هناك الكثير من الأسماء اللامعة والتي يشير إليها المسلمون بالبنان مثل عبد الملك وهارون الرشيد والمتوكل على الله والواثق بالله أنّ بينهم وبين أسمائهم وألقابهم البون الشاسع، فأسماؤهم تدل على أنهم عاشوا في ملكوت التوكل والرشد والتقوى والوثوق بالله والاعتصام به بينما السيرة الذاتية لحياتهم وشخصياتهم تدل على خلاف ذلك.

فمثلاً لو طالعنا حياة هارون الرشيد ذلك الخليفة العباسي وكيف تصرف برعونة وحماقة مع الأحرار والسادة العلويين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاصة إجرامه بحق الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نجد أنّ هذا الأمر واضح وبصورة جلية.

ولنعم ما قال الشاعر الكبير أبو فراس الحمداني في رائعته التي يقول فيها:

الدين مخترم والحق مهتضم
وفي آل رسول الله مقتسم

إلى أن يقول:

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

إذا تلوا آية غنى خطيبكم
قف بالديار التي لم يعفها القدم

بينما إذا نظرنا إلى أهل بيت النبوة عليهم السلام نجد أن أسماءهم تدل على المعاني العالية المنال وفي نفس الوقت نرى أن السيرة الذاتية لحياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ذات دلالة واضحة على أسماءهم وألقابهم.

فحين نقرأ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نجد كل ألقابه وكناه منطلقة من صفاته الأصيلة الثابتة في أعماقه وفي جذوره المشرقة المضيئة بنور الله تعالى فهو الإمام العابد الزاهد الصادق القائد إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يعسوب الدين، الفاروق الأكبر، الصديق، وهكذا في الحسن المجتبى والحسين الشهيد والساجد والباقر عليهم السلام أجمعين.

ومن هذا المنطلق نرى أن الرسول وأهل بيته عليهم السلام قد أكّدوا ومن خلال الكثير من الروايات على ضرورة تسمية المولود بخير الأسماء وأفضلها وذلك لما يتركه الاسم من البصمات الواضحة والآثار الجميلة على طبيعة تصرف الفرد وعلى ضوء ذلك المعنى الذي يحمله الاسم، ولذلك جاءت الأحاديث لتؤكد على هذه المسألة وللفلسفة الرائعة لها، حيث ورد الاستحباب المؤكد على ضرورة تسمية المولود بأحسن الأسماء حيث روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «لاَ يُولَدُ لَنَا مَوْلُودٌ إلاَّ سَمَّيْنَاهُ مُحَمَّداً فَإذَا مَضَى سَبْعَةُ أَيَّامٍ فَإنْ شِئْنَا غَيَّرْنَا وَإلاَّ تَرَكْنَا».(عدة الداعي:٨٧)

وقد أكّد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على هذه التسمية بقوله: «مَنْ وُلِدَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْلاَدٍ لَمْ يُسَمِّ أَحَدَهُمْ بِاسْمِي فَقَدْ جَفَانِي».(الكافي:٦/١٩)

وكان الديدن العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا الأمر والاهتمام به كل الاهتمام فهم عليهم السلام كانوا يحثون المسلمين على تسمية أبنائهم وبناتهم بالأسماء التالية (محمد، أحمد، علي، حسن، حسين، جعفر، مهدي، فاطمة).

وجاء التأكيد على هذه الأسماء من خلال عدة روايات

أثبتت هذه المسألة المهمة كل ذلك لأجل تحصين الطفل من السخرية والاستهزاء من قبل الآخرين في حالة تسميته بأسماء ورد فيها الكراهة مثل الحكم، خالد، مالك، حارث، ولئلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال في الأسماء المستهجنة.

إنّ اسم فاطمة عليها السلام من البارئ عز وجل وهو الواضع لهذه المعصومة الشهيدة اسمها، وهنا في هذا المقام تتقدح لدينا عدة أسئلة مهمة ألا وهي:

- لماذا وضع البارئ عز وجل الأسماء لفاطمة الزهراء عليها السلام؟
- وما فلسفة أسمائها عليها السلام؟
- وماهية المعاني لها؟
- ولماذا التأكيد من قبل الله تعالى على أهمية أسماء الزهراء عليها السلام؟

كون أسمائها عليها السلام من الله تعالى وهو الذي سماها بفاطمة فيوجد في هذا المضمار أحاديث كثيرة تبين هذه المنقبة لفاطمة عليها السلام، فلقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لفاطمة عليها السلام: «...شَقَ - الله - لَكِ يَا فَاطِمَةُ اسْماً مِنْ أَسْمَائه فَهُوَ الْفَاطِرُ وَأَنْت فَاطِمَة...».(معاني الأخبار:٥٦)

وعَنْ يَزِيدَ بْن عَبْد الْمَلك عَنْ أَبي جَعْفَر عليه السلام قَال: «... لَمَّا وُلدَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام أَوْحَى اللهُ إلَى مَلَك فَأَنْطَقَ به لسَانَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَسَمَّاهَا فَاطمَةَ ثُمَّ قَالَ: إنِّي فَطَمْتُك بالْعلْم وَفَطَمْتُك منَ الطَّمْث»، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السلام: «وَالله لَقَدْ فَطَمَهَا اللهُ بالْعلْم وَعَنِ الطَّمْث في الْميثَاق».(الكافي:١/٤٦٠)

فيتبين من خلال هذه الأحاديث وأحاديث أخرى أغفلنا عن ذكرها لئلا يطول المقام بها أنّ أكثر أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هي من وضع الله تعالى وهو الذي سماها بهذه الأسماء المباركة.

ففي رواية يثبت الإمام عليه السلام أن للزهراء عليها السلام اسماً واحداً سماها به الله تعالى وفي رواية أخرى يثبت معصوم آخر أن للزهراء عليها السلام تسعة أسماء عند الله تبارك وتعالى، كل ذلك نتيجة المقام السامي لفاطمة الزهراء عند الله تعالى، وربما يوحي هذا الكلام أنّ هناك تعارضاً في عدد أسماء الزهراء عليها السلام ولكن بأدنى تأمل للروايات يظهر لنا أن هذا ناشئ من طبيعة حال السائل.

وعلى هذا الأساس انقدح في ذهننا الأسئلة المتقدمة الذكر وهو لماذا سمّى الباري عزّ وجل فاطمة بهذه الأسماء؟ وما هي فلسفتها؟ وما هي المناسبة بين ذات الزهراء وأسمائها التي أعطاها الله تبارك إياها؟



فنقول: إنّما وضع الله تعالى أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام منه لتكون علامة لشيء ما، وربما تسأل أيها القارئ العزيز كيف يكون الاسم علامة للمسمى والمفهوم من العلامة هو الوسم والذي يظهر هذا من خلال مراجعة أفراد اللغة العربية؟

والجواب عن ذلك: أنّ بين الأسماء والمعاني الموضوع لها مناسبة ذاتية، والواضع عندما يضع الاسم المعين للمسمى المعين يكون عالماً بالمناسبة وقادراً عليها ولوجود الحكمة والإتقان في وضع الأسماء لتلك المعاني، ومن هنا كان الواضع لأسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هو الله تعالى وذلك لوجود المناسبة والحكمة في ذات الزهراء عليها السلام، وكذلك اقتضت حكمة البارئ عز وجل أن تكون العلامة فيها مناسبة لها وهي ذات الزهراء في مادتها وصورتها حيث كانت دلالة فاطمة الزهراء عليها السلام ذاتية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اسمها فكان التعبير من الله تعالى أدق في التعريف لذات الزهراء عليها السلام وأظهر في تمييز ذاتها عن بقية الذوات.

فالله سبحانه وتعالى لم يهمل الحكمة ولم يظلمها ولم يضعها في غير ما جعلها مقتضية لها فمن شاء أن يطلعه على علل الأشياء وأسبابها علمه ذلك بتفهيمه أو بوضع القرائن له والأمارات على ذلك وكما فعل ذلك مع أهل البيت عليهم السلام حيث هو الذي وضع أسماءهم وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائي لأهل البيت عليهم السلام، فالله تبارك وتعالى يحب أن تكون أسماء أهل البيت عليهم السلام منه تعالى وكما قال الله تعالى: ﴿لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُون﴾.[الأنبياء:٢٣]

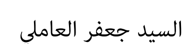
وأمّا إنْ قال شخص لمّا إنّ الواضع لأسماء فاطمة عليها السلام هو غير الله تعالى وبغض النظر عن الرواية الواردة في المقام والشواهد والقرائن الأخرى؟

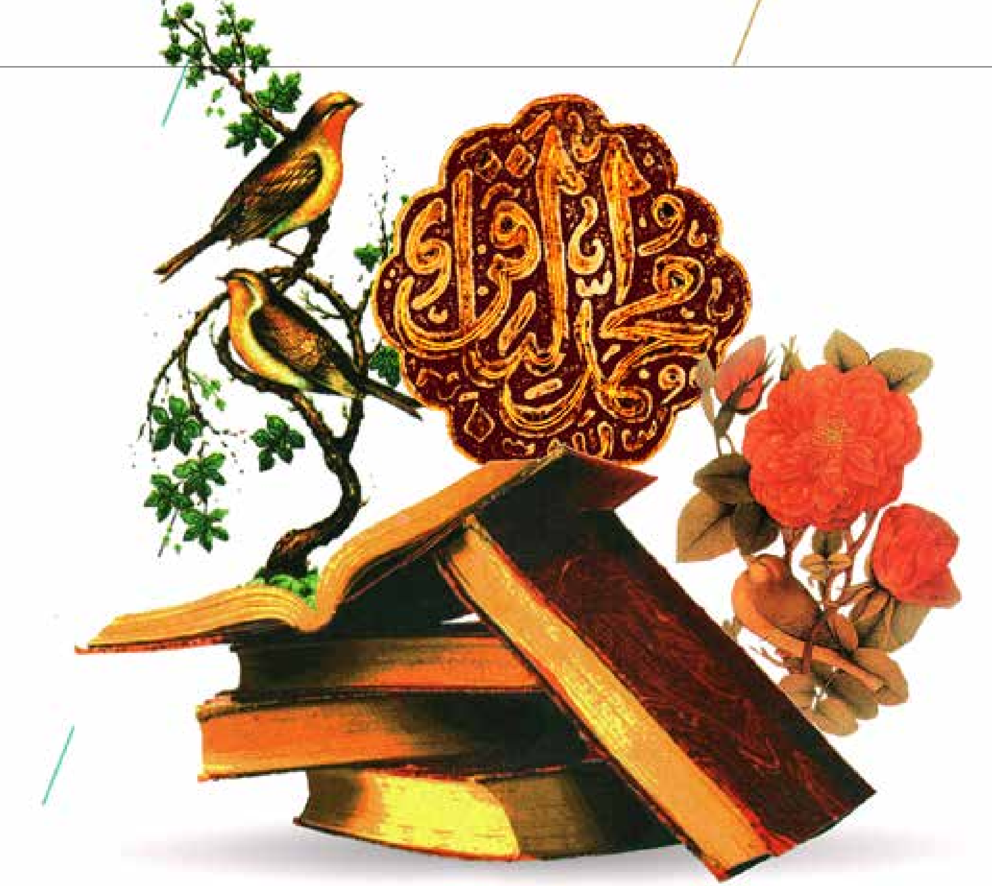
فالجواب: أنّه لو قلنا بأنّ الواضع غير الله تعالى لم يكن هناك محذور في أن الألفاظ بينها وبين المعاني مناسبة ذاتية لأنّ الوضع لا يمكن إلاّ ممن له قوة المعرفة التي تنقص عن المعرفة بالمناسبة واعتبارها، ويدل على هذا أنّا وجدنا في اللغة واشتقاق الألفاظ بعضها من بعض ونظمها على ما يوافق الحكمة ما يبهر العقول مع ما عرفنا من قصورنا عن أكثر أسرارها ولا يكون ذلك إلاّ ممن يقدر على المناسبة ويعرف كمال حسنها وشرفها على عدمها وإذا كان قادراً على العلم بها وعلى معرفتها بأنّها أكمل وأدل على المطلوب وأوفق بالحكمة كان العدول عن ذلك نقصاً في الكمال وعدولاً إلى الإهمال عن الحكمة لأنّ الأسماء في الحقيقة صفات المسميات فلو لم يكن بين الصفة وموصوفها مناسبة ذاتية ومطابقة حقيقة لكانت صفة فاطمة الزهراء عليها السلام التي تطلب بها تمييزها تصلح أن تكون لغيرها وإذا صلحت لغيرها كان تميزها بها مما يزيد في الالتباس وعدم المعرفة.

وعلى كل حال فإنّ البحث في هذا المقام لطويل وشائك فالذي نريد القول به والنتيجة التي نريد استعراضها وإظهارها هو أن الواضع هو الله تبارك وتعالى لأسماء فاطمة الزهراء عليها السلام، وإنّما وضعها لتكون العلامات المميزات والصفات المعينات لفاطمة الزهراء عليها السلام، ولكي يتبين معرفة الحال في المقام أكثر.

نقول: إنّ المراد من هذه الأسماء الأعم من اللفظية والمعنوية لأنّ العلامة والتمييز يحصل بكل منهما، والحاصل أن أسماءها عليها السلام التي أشير إليها في الرواية المتقدمة الذكر سواء كانت من الأسماء الصفاتية أو اللفظية فإنّها مشتقة من أسمائه تعالى يعني اشتقها سبحانه وتعالى من أسمائه وهذا معنى ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قال: «يَا آدَمُ هَذِه أَشْبَاحُ أَفْضَل خَلاَئقي وَبَريَّاتي: هَذَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا الْمَحْمُودُ الْحَميدُ في أَفْعَالي، شَقَقْتُ لَهُ اسْماً من اسْمي؛ وَهَذا عَليٌّ، وَأَنَا الْعَليُّ الْعَظيمُ، شَقَقْتُ لَهُ اسْماً من اسْمي؛ وَهَذه فَاطمَةُ وَأَنَا فَاطرُ السَّمَاوَات وَالأَرْض، فَاطمُ أَعْدَائي عَنْ رَحْمَتي يَوْمَ فَصْل قَضَائي، وَفَاطمُ أَوْليَائي عَمَّا يَعُرُّهُمْ وَيُسيئُهُمْ فَشَقَقْتُ لَهَا اسْماً من اسْمي...».(تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٢٢٠)

وهذا يعني أنها فيض وجودها ونورها من فيض نور الله تبارك وتعالى ونسبتها إلى الله تعالى من حيث وجودها ومبدأ نورها وصفاتها عليها السلام وبأبسط تأمل لهذا الحديث يظهر أنه سبحانه وتعالى يريد بالاسم ما هو أعمّ من اللفظ ولو أراد خصوص اللفظ فقط يعني اسم فاطمة لما قال تعالى وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض ولو أراد خصوص المعنى لما علقه بالألفاظ ولكنه تعالى يريد الأسماء المعنوية والأسماء اللفظية وهو المفهوم من أحاديثهم الكثيرة ومتواترة في هذا الخصوص.


السيد جعفر العاملي



الإمام الباقر عليه السلام ومنهجه العلمي

ليس بالغريب أن يمتلك العلوم من تربى في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إنه كوكب من كواكب الإسلام جمع فأوعى، وعاش الإيثار بكل معانيه، وعشق التضحية بأجلى معانيها فخاض جميع العلوم في بحوث ألقاها على العلماء في الجامع النبوي، الذين كانوا يتدفقون إليه ويتحلقون حوله كما تتحلق مجموعات النحل لتمتص أريج العسل الصافي من الزهور.

لقد خاض عدة علوم يحتاج الشرح عنها عدة مجلدات، لكن سوف نعددها بإيجاز بإذن الله.

العلوم الفقهية

إن روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام التي أُثرت عنهم في عالم التشريع والأحكام الفقهية لا تتناول آراءهم الخاصة وإنما هي امتداد لأقوال الرسول صلّى الله عليه وآله ولذلك ألحقت بالسنة الشريفة.

قال الإمام الباقر عليه السلام في ذلك في حديث مع جابر بن يزيد الجعفي: «يَا جَابِرُ وَاللهِ لَوْ كُنَّا نُحَدِّثُ النَّاسَ أَوْ حَدَّثْنَاهُمْ بِرَأْيِنَا لَكُنَّا مِنَ الْهَالِكِينَ وَلَكِنَّا نُحَدِّثُهُمْ بِآثَارٍ عِنْدَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَتَوَارَثُهَا كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ نَكْنِزُهَا كَمَا يَكْنِزُ هَؤُلَاءِ ذَهَبَهُمْ وَفِضَّتَهُمْ...». (بصائر الدرجات:١/٣٠٠)

الحديث الشريف

اهتم الإمام عليه السلام اهتماماً بالغاً في الأحاديث الواردة عن جده رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن آبائه الأئمة الطيبين عليهم السلام وهي تعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

فالكتاب تولى العناوين والعموميات والحديث اختص بشرح العموميات وتقييد المطلقات، وبيان ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبنيه، كما يعرض لأحكام الفقه من العبادات والمعاملات، وإعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء في استنباطهم الحكم الشرعي.

إلى جانب هذا كله فإن فيه فصولاً مشرقة لآداب السلوك، وقواعد الاجتماع، وتنظيم الأسرة وصيانتها من التلوث بالآثام، إلى غير ذلك مما يحتاج إليه الناس في حياتهم الفردية والاجتماعية.

ولذلك وجدنا الإمام عليه السلام يهتم بالحديث ويتبناه، ويؤكد على فهمه والوقوف على معطياته.

وقد جعل المقياس في فضل الراوي فهمه للحديث ومعرفة مضامينه.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ زَيْدٍ الزَّرَّادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا بُنَيَّ، اعْرِفْ مَنَازِلَ الشِّيعَةِ عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدِّرَايَةُ لِلرِّوَايَةِ، وَبِالدِّرَايَاتِ لِلرِّوَايَاتِ يَعْلُو الْمُؤْمِنُ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الإِيمَانِ؛ إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ قِيمَةَ كُلِّ امْرِئٍ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ؛ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا...». (الأصول الستة عشر:٣٦)

فوعي الراوي للحديث ووقوفه على معناه مما يستدل به على سمو منزلته العلمية.

وأحاديث الإمام الباقر عن جديه رسول الله صلّى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام على قسمين: الأولى مرسلة، والثانية مسندة.

فالمرسلة: ينسب فيها الإمام الحديث مباشرة إلى النبي صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام دون أن يذكر رجال السند.

وَرُوِيَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ يُرْسِلُهُ وَلاَ يُسْنِدُهُ فَقَالَ: «إِذَا حَدَّثْتُ الْحَدِيثَ فَلَمْ أُسْنِدْهُ فَسَنَدِي فِيهِ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ جَبْرَئِيلَ عليه السلام عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». (إرشاد المفيد:٢/١٦٧)

والمسندة: هي التي يذكر فيها سنده عن آبائه الطاهرين عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ وسواء كانت روايته مرسلة أم مسندة فهي حجة بلا خلاف.

أولاً: أحاديثه عليه السلام في الفقه

١. روى الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَأَفْضَلُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ». (الخصال:١/٤)

لقد فضّل العلم على العبادة لأنّ العبادة لا ينتفع بها إلاّ صاحبها بينما العلم ينتفع به صاحبه والناس.

كما حثّ على الورع عن محارم الله، فالورع يكون في أعلى مراتب التقى لأنّه يكون قد تجنب السقوط في المآثم التي تؤدي إلى الانحراف عن الطريق القويم، ويصبح في وقاية تامة.

٢. روى عليه السلام عن آبائه عن رسول الله أنه قال صلّى الله عليه وآله: «مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ». (أمالي الصدوق:٢٩٥)

إنّ الاتصاف بالعلم أمر مهم لكنّ اقترانه بالحلم أمر أهم؛ لأنّ الحلم صفة حضارية عظيمة تفيد عن نضوج الإنسان الفكري وارتقائه في فهم الحياة الإنسانية الراقية، وسعادة الإنسان تكتمل في هذه الدنيا إذا أحسن استعمال علمه فسخره لسعادته وسعادة الآخرين، أمّا إذا اكتفى بالعلم دون الحلم فيصبح كالجاهل أو كالغني البخيل الذي يكنز المال فلا يستفيد هو ولا يفيد غيره، أما جمع العلم إلى الحلم فإنهما يرفعان من مستوى الإنسان ويميزانه عن غيره من الناس.

٣. وقال عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ». (الخصال:١٧٨)

القلب هو مستودع الأسرار ولب الإنسان إن صلح صلح المرء وإن فسد فسد المرء والإيمان ليس لفظة يتفوه بها اللسان وإنّما هو أمر مستقر في أعماق القلب، ودخائل النفس، يدفع بالإنسان إلى العمل عن يقين وإخلاص.

وما اللسان إلا ترجمان عن القلب يتكلم بوحيه ويعمل بأمره، والترجمة الحقيقية عن القلب المؤمن واللسان النظيف، العمل بالأركان، فالعمل الصالح إفراز عن القلب الصالح.

ثانياً: الأحاديث الاجتماعية

١. قال عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّحَبُّبُ إِلَى النَّاسِ». (الخصال:١/١٥)

حديث حكيم ورائع وجليل يجمع صفات عدة تصب كلها في نتيجة واحدة هي التحبب إلى الناس، ولا يحصل هذا إلاّ عن طريق السلوك الحسن والأخلاق الرفيعة

والذوق الجليل في التعاطي مع الآخرين، فالتحبب إلى الناس يتم بقضاء حوائجهم أو جلب الخير لهم، ودفع الظلم عنهم ومعاملتهم باللطف والإحسان، كل ذلك يوجب شيوع المحبة بين الناس ويربط الهيئة الاجتماعية بروابط الوئام والسلام.

٢. وقال عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أَلَا إِنَّ شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ يُكْرَمُونَ مَخَافَةَ شَرِّهِمْ أَلَا وَمَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ فَلَيْسَ مِنِّي».(تحف العقول:٥٨)

ما رأوه بالأمس وما نراه اليوم إنّ شرار هذه الأمّة هم الوجهاء والزعماء الذين يكرمون ويعظمون لا لفضيلة فيهم أو إحسان أسدوه إلى غيرهم، وإنّما كان التكريم لاتقاء شرورهم ومخافة ظلمهم.

إنّ مثل هؤلاء الإسلام منهم براء وهم ليسوا منه في شيء لأنّ الإسلام جاء بالرحمة فالله عزّ وجل رحمان رحيم وأمرنا أن نرحم بعضنا والإسلام جاء بالعمل الصالح والإحسان إلى الناس جميعاً من كل عرق ولون، والإسلام أمر بالصدق في المعاملة الحسنة لا خوفاً من عقاب ولا طمعاً بمكافأة بل اندفاعاً من الذات لمن يستحقون.

٣. وقال عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ: الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ».(أمالي الصدوق:٣٦٦)

إنّ صلاح أي مجتمع وفي أي عصر يتوقف على صلاح هذين العنصرين، فإذا صلحا فقد سعدت الأمّة وازدهرت مرافقها وحقّقت كلّ ما تصبو إليه من أهداف إنسانية سامية، أمّا إذا فسدا أو شذا عن سنن الحق وانحرفا عن طريق العدل والصواب أصيبت الأمّة بتدهور سريع في جميع مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والحضارية، وغير ذلك.

سئل أحد الفقهاء: كيف تقوم صلاح أمّة من الأمم؟ فقال: تكون الأمّة في أشقى حالاتها وأسوأ أحوالها عندما تجد فقهاءها على أبواب أمرائها وعلماءها على أبواب ملوكها.

كرّم الله عزّ وجل العلماء وفضلهم ومنحهم منزلة اجتماعية عالية لا تضاهيها منزلة أخرى فقد وضعهم سبحانه وتعالى بعد الأنبياء والأئمة والأوصياء.

٤. قال عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مَنْ وَاسَى الْفَقِيرَ مِنْ مَالِه وَ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِه فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقّاً. (الكافي:٢/١٤٧)

إن مؤاساة الفقراء واجب شرعي وعامل اجتماعي من خلاله تولد المحبة بين أفراد المجتمع وتتوثق الروابط الاجتماعية فيما بينهم، ومساعدة الفقراء قد تكون مادية وقد تكون معنوية وهي دليل واضح على قوة الإيمان وتكامله وحسن الأخلاق ونبلها.

فالمؤمن هو أخ المؤمن يشاركه في السراء والضراء وقد أوصى الله عز وجل المؤمنين بمناصرة بعضهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. [الحجرات:١٠]

ومن جانب آخر فإنّ إنصاف النّاس آية على سمو الإنسان وتجرده من الأنانية وسائر الأمراض النفسية، وهو بلا ريب واقع الإيمان وجوهر الإسلام.

٥. قال عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ».(من لا يحضره الفقيه:٤/٣٩٤)

حكمة رائعة يرشح منها نور المحبة وصفاء الألفة، فتوحد بين مشاعر أفراد المجتمع الواحد وتزكي عواطفهم.

وسلطان المال لا يمكنه وحده من تحقيق ذلك، لكن الأخلاق الحسنة هي أقوى مؤثر في بناء المجتمع الراقي وإقامته على أسس إنسانية سليمة.

٦. قال عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». (الكافي:١/٩٥)

يقول علماء الاجتماع إنّ الحياة الاجتماعية تأثّر وتأثير فكل إنسان يتأثّر بمن يعاشر ويؤثّر فيمن حوله من رفاق وأصحاب وأهل، ومن الطبيعي أن مزاملة الأخيار من رجال الدين تؤثّر فيمن يتصل بهم تأثيراً مباشراً فتصونهم من الرذائل والخبائث من الصفات وتحبب لهم الخير، وبذلك ينالون شرف الدين والآخرة.

الأحاديث التي رواها عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام

روى الإمام الباقر عليه السلام طائفة من الأحديث تعد حكماً خالدة عن جده أمير المؤمنين عليه السلام صاحب النهج وإمام البلاغة ومنهل الأدب، وعميد الفقه في التشريع الإسلامي، وهذه بعض منها:

أولا: الأحاديث الفقهية

قال الإمام الباقر عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: قِوَامُ الدِّينِ بِأَرْبَعَةٍ: بِعَالِمٍ نَاطِقٍ مُسْتَعْمِلٍ لَهُ، وَبِغَنِيٍّ لَا يَبْخَلُ بِفَضْلِهِ عَلَى أَهْلِ دِينِ اللهِ، وَبِفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، وَبِجَاهِلٍ لَا يَتَكَبَّرُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، فَإِذَا كَتَمَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ، وَبَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ، وَبَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، وَاسْتَكْبَرَ الْجَاهِلُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، رَجَعَتِ الدُّنْيَا إِلَى وَرَائِهَا الْقَهْقَرَى فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ الْمَسَاجِدِ وَأَجْسَادُ قَوْمٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ الْعَيْشُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ فَقَالَ: خَالِطُوهُمْ بِالْبَرَّانِيَّةِ يَعْنِي فِي الظَّاهِرِ وَخَالِفُوهُمْ فِي الْبَاطِنِ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَانْتَظِرُوا مَعَ ذَلِكَ الْفَرَجَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». (الخصال:١/١٩٧)

هؤلاء الأصناف هم أركان الحياة فإذا قاموا بمسؤولياتهم وأداء ما عليهم من واجب شرعي صلحت الدنيا وازدهرت الحياة وأخصبت ثمارها، وأمّا إذا انحرفوا عن ذلك فإنّ الحياة العامّة يخبو بريقها وتضيق طرق العيش فيها ويصعب معاشرة أفرادها وتصاب بتدهور وانحطاط في جميع مرافقها المثلى وقيمها العليا.

ثانياً: الأحاديث الاجتماعية:

١. قال الإمام الباقر (عليه السلام): قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الفتن ثلاث: حب النساء، وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر، وهو مخ الشيطان، حب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان، فمن أحب النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا.

وأضاف (عليه السلام): يقول: قال عيسى ابن مريم بالدينار رداء الدين، والعالم طبيب الدين فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء على نفسه فاتهموه، واعلموا أنه غير ناصح لغيره) (الخصال ص١٠٩).

ولا ريب أن الوقاية من هذه الآفات الثلاث: سيف الشيطان، ومخ الشيطان وسهم الشيطان أفضل بكثير من الوقوع في أحوالها والتلوث بآثامها، وبذلك يكون الإنسان في وقاية من الشيطان، لأن هذا الخبيث يفتش عن أي فراغ ليدخل فيه ويفعل فعلته الشيطانية. أما المؤمن المتحصن بالإسلام فهو في وقاية من الشيطان، فلا يستطيع غوايته أو إبعاده عن الطريق السليم. لكن طبيب الدين الذي يجر الداء على نفسه يكون الشيطان قد لعب لعبته الخبيثة معه وعلق في حباله، ولا فائدة عندها من علمه.

٢ـ وقال (عليه السلام):

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) كم بين الحق والباطل؟ فقال (عليه السلام): أربع أصابع ووضع يده على أذنه وعينه وقال: ما رأته عيناك فهو حق، وما سمعته أذناك فأكثره باطل (الخصال ص١٠٩).

فتأمل هذا المثل الواقعي الحسي، فعلى الإنسان المدرك العاقل أن لا يتكلم إلا بما يرى وليس بما يسمع وذلك للتأكد من صحة الكلام.

بقلم: الدكتور حسين إبراهيم

معين البدور

من حقيقته السماوية المصطفاة التي خصّها الله بروعة الجلال.

ومن روحه الأسمى التي تعبق بالعبير الوتر في ذروة الجمال.

ومن فؤاده الفذ الذي يميس بالبهاء والعُلى في سبحات (دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى)

من مشيئة الله له أن يكون سيّد الأولين والآخرين إماماً للنجباء.

من عزّه الفريد الموصول بالعروة الوثقى لا انفصام لها ولا فناء.

من كل ذلك تجلّت لحفظ امتداده وإفضاله نفحة شذية من علياء كماله، وشعشعت من روحه الندية النوراء في أزهى مجاليها شمس ترش أسباطها على الآفاق من أبهى معاليها.

وانداحت من مجد محمّد الأثيل أفضية الأمجاد في أبنائه الوارثين، افنان تلك الشجرة الطيبة التي ضربها الله في القرآن مثلاً للمتوسمين.

إنّها الزهراء البتول: بسمة سنية ما سطعت إلاّ من ثغر السماء، وهلة نيرة ما التمعت إلاّ من وجهها، وعبقة زكية ما تضوّعت إلاّ من رياضها، نطفة زكية ما غرست في صلب المصطفى إلاّ من ثمر الجنة في رحلة الإسراء والمعراج، ثم قرّت في بطن خديجة الكبرى، لتخرج للدنيا خلقاً سوياً يزهو ببهاء الخصيصة السماوية، ليقلدها أبوها الصدوق وسامها الفريد (الحوراء الإنسية).

هنالك في شدة الضيق، وكثافات العناء، وسَورة الخطوب والكروب التي تلبّدت بها ساحة الرسول، وهو لا يعتم ينفتح على الحياة بحبّه وحنانه، وهي لا تألو جهداً في أن تتفج عليه بالعنف والشراسة، في كل ذلك ضحكت المشيئة العظمى لرسولها الكريم لتمسح بيدها الآسية الرؤوم على فؤاده المضنى، وتفيض في نفسه معين البشر والحبور، فهذه خديجة قد أوشكت مدة حملها أن تنقضي، ولقد ألفت فيه في أيام حصارها البئيس أنيساً مسعداً بأمر عجب نسيت له أو كادت كروبها وخطوبها، فجنينها يحدثها من بطنها، ويسمعها النبي تتكلم وليس في البيت أحد سواها، فلا يجد للحيرة في أمرها سبيلاً إلى قلبه، فهو ما عهدها إلاّ واثقة النهى، بالغة الصواب، ثاقبة البال، لا تتكلم إلاّ حيث ينبغي، فهي عن فضول القول بمنجى ومفازة، وحين يسألها النبي عن سر ذلك تجيبه:

إنّ الجنين الذي في بطني يحدّثني.

ولا يستغرب البعض من المتعلّمين هذا الأمر اليوم، ويحاول أن يصنّفه في باب (الحديث عن بُعد) أو (التلبثاني)، حيث هو حقيقة علمية أثبتها الواقع العلمي المتين.

ولا يذهب الرسول، ولا تأخذه الدهشة، فهو يعمل ما لهذا الجنين من جليل شأن، وخطير مكانة، وجسيم غاية، فما هو إلاّ فلك رسالي من الكمال

والجلال تدور في آفاقه في غدٍ بُدور الإمامة حول شمس النبوة تشع بأنوارها وتديم عطاءها.

ولـدت فـاطـمـة فـأشـرق بـحـبـوره قـلـب مـحـمّـد الـذي مـا ذاق طعم الهـنـاء مـذ أوكـلـت إلـيـه المشيئة الأسمى تحرير الإنسان من كبول الآلـهـة الـزائـفـة وكـسـر أغـلال الـحـمـاقـات، ولا أحس بالحبور يـدخـل دنـيـاه مـن قـريـب أو بـعـيـد.

و تهلّت أسـاريـر خديجة الصابرة، ورأت وجه تلك الروعة التي ملكت عليها قلبها بالأمس وحيّرتها.

وكـأنّـه كـان أمـراً مـن التدبير أن تـنـطـلـق مـن فـم الـعـاص بـن وائـل كلمات نابية تثير حفيظة السماء لتمقته في ناديه على وجوه سُمّاره، فلقد قال لقومه حين أعيتهم الحيل في أمر محمّد:

(دعـوه، فـإنّـمـا هـو رجـل أبـتـر لا عقب لـه، لـو مـات لانـقـطـع ذكـره، واسترحتم منه).

فـيـرد عـلـيـه الـوحـي وقـد أطـلّـت فـاطـمـة بوجهها المـبـارك الـوضّـاء، مبشّراً النبي العظيم بالوليد الكريم، معين الـصـفـوة المـبـاركـة مـن بنيه، وحماة رسالته من أسباطه، وروّاد الأمّة من بعده على دربه: ﴿ إنّا أعطيناك الـكـوثـر، فصلّ لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر﴾. [سورة الكوثر:١-٣]

إذن لن يندثر محمّد، وما هـو بـالمـنـقـطـع ذكـره، وقد ولدت له (الكلمة الطيبة)، فاطمة البتول (كشجرة طـيـبـة أصـلـهـا ثـابـت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها).

وهـكـذا كـانـت فـاطـمـة، عبقة الـلـطـف مـن صلب الـرحـمـة المـهـداة، وهـي الأنـثـى الـوحـيـدة مـن ظهر الرسول الخاتم، بشهادة الفعال في سيرة العصمة، وبيّنات الكلمات التي طفح بها الاهتمام النبوي السديد بهذه البضعة المطهرة ممّا لم تنل أخواتها المزعومات معشاره، ولا شيئاً منه أو من مثيله أو ما هو دونه، مع أنّ النبي هـو مـن علّم الأجـيـال في مدرسة مُثله الرفيعة مبدأ المساواة بين الأولاد في البر والعواطف وحتى النظرات، بحكم أصول العدل والعقل وعلم النفس.

ففاطمة من دونهن على لسانه هي سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، ومن رضاها قرين رضا الله ورسوله، والمطهّرة من الرجس بتحديده المصداق لصريح التنزيل في آية التطهير، وهي المتفردة بالسمو النسائي الرضي في مهمّة المباهلة، والمتوحّدة بكرامة التزويج بإرادة الـسـمـاء ومشيئتها، والمخصوصة بالبعل السديد، والنسل الرشيد، والـدور الـفـريـد، ولـيـس لـواحـدة سواها - ممّن وسموهن بـأنّ عليها الـسـلام مـن بـنـات الـنـبـي ومـا هـنّ إلّا ربائبه - شيء من هـذه الموائز العلية، والمواهب السنية، والنياشين البهية، ومـا ذاك إلّا لأنّـهـا وحيدة المصطفى من صلبه، وحبيبة الرب مـن مـقـربـاتـه، ومـخـتـارة المشيئة الأسـمـى للعطاء والـفـداء، امتدادٌ لهدي السماء في خاتم الأنبياء.

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة﴾

ولو كان الأمر غير ذلك فلماذا كان موقفه من إناثه متفاوتاً وهـو الولي الأمـين، وأعـدل المقسطين، بعصمة ربه الـذي حباه بلطفه وحماه، سدد على طريق الحق والرشد خطاه؟!

سيد فاضل الموسوي

الصديقة الطاهرة عليها السلام وبدأ خلقها

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ عليها السلام قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَلَيْسَتْ هِيَ إِنْسِيَّةً؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ.

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ وَكَيْفَ هِيَ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله: خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ إِذْ كَانَتِ الأَرْوَاحُ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ.

قِيلَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأَيْنَ كَانَتْ فَاطِمَةُ؟ قَالَ: كَانَتْ فِي حُقَّةٍ تَحْتَ سَاقِ الْعَرْشِ.

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ فَمَا كَانَ طَعَامُهَا؟ قَالَ: التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ صُلْبِهِ أَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ صُلْبِي جَعَلَهَا تُفَّاحَةً فِي الْجَنَّةِ وَأَتَانِي بِهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ لِي: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهُ حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، قُلْتُ: مِنْهُ السَّلاَمُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلاَمُ.

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ تُفَّاحَةٌ أَهْدَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَخَذْتُهَا وَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي.

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ كُلْهَا، فَفَلَقْتُهَا فَرَأَيْتُ نُوراً سَاطِعاً فَفَزِعْتُ مِنْهُ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا لَكَ لا تَأْكُلُ؟ كُلْهَا وَلاَ تَخَفْ فَإِنَّ ذَلِكَ النُّورَ الْمَنْصُورَةُ فِي السَّمَاءِ وَهِيَ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةُ، قُلْتُ: حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ وَلِمَ سُمِّيَتْ فِي السَّمَاءِ الْمَنْصُورَةَ وَ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ؟

قَالَ: سُمِّيَتْ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ لأَنَّهَا فَطَمَتْ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ وَفُطِمَ أَعْدَاؤُهَا عَنْ حُبِّهَا وَهِيَ فِي السَّمَاءِ الْمَنْصُورَةُ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ﴾ يَعْنِي نَصْرَ فَاطِمَةَ لِمُحِبِّيهَا».(معاني الأخبار:٣٩٦-٣٩٧)

كما نعلم أنّ لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين طبقات في كل عالم من العوالم.

فالبشر العادي مرّ بعوالم عديدة كعالم (الميثاق) وهو عالم الذر، ثم عالم (الأصلاب والأرحام).

فكان تارة ذرّة وتارة نطفة وتارة علقة، ثم مضغة، ثم خلق الله المضغة عظاماً ثم كسى تلك العظام لحماً.

فقد تحولنا من العدم إلى الذرة من التراب ثم إلى نطفة ثم أخرجنا الله من بطون أمهاتنا فتبارك الله أحسن الخالقين.

وها نحن بقدرة الله في كل سنة تتغير أشكالنا وملامحنا ولون شعرنا وتركيبة أجسامنا وكل الخلايا في أبداننا، هذا كله لنا وبحسبنا.

أما الأمر بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام مختلف تماماً فالقضية لهم أوسع وأكبر وأعظم، وكذلك شيء لا يتحمل عقول البشر.

فقد اختارهم الله على علم بامتيازاتهم العالية التي تفوق حتى التصورات والخيالات والأوهام.

وعلى سبيل المثال الصديقة الزهراء عليها السلام نحن نقرأ في زيارتها: «امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة».

فأهل البيت عليهم السلام امتحاناتهم كانت قبل أن يخلقهم الله فوجدهم الله تعالى لما امتحنهم صابرين، ومعنى عبارة (صابرين) تفوق معنى الصبر كما نعرفه.

فكانت حكمة الله تعالى أن يجعل أول خلقه محمداً وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والروايات متواترة في هذا الخصوص حيث خلقهم الله قبل أن يخلق الخلق بأربعة عشر ألف عام ليس بحساب أعوامنا بل أعظم وأكبر.

فعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نُوراً قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ فَهِيَ أَرْوَاحُنَا»، فَقِيلَ لَهُ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ وَمَنِ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ: «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ الَّذِي يَقُومُ بَعْدَ غَيْبَتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ وَظُلْمٍ».(كمال الدين وتمام النعمة:٢/٣٣٦)

عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَبْلَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَاللَّوْحَ وَالْقَلَمَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَقَبْلَ أَنْ خَلَقَ آدَمَ وَنُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَكُلَّ مَنْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ * وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَقَبْلَ أَنْ خَلَقَ الأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ حِجَاباً (حِجَابَ الْقُدْرَةِ) وَ(حِجَابَ الْعَظَمَةِ) وَ(حِجَابَ الْمِنَّةِ) وَ(حِجَابَ الرَّحْمَةِ) وَ(حِجَابَ السَّعَادَةِ) وَ(حِجَابَ الْكَرَامَةِ) وَ(حِجَابَ الْمَنْزِلَةِ) وَ(حِجَابَ الْهِدَايَةِ) وَ(حِجَابَ النُّبُوَّةِ) وَ(حِجَابَ الرِّفْعَةِ) وَ(حِجَابَ الْهَيْبَةِ) وَ(حِجَابَ الشَّفَاعَةِ)؛ ثُمَّ حَبَسَ نُورَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فِي حِجَابِ الْقُدْرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى) وَفِي

حِجَابِ الْعَظَمَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ عَالِمِ السِّرِّ) وَفِي حِجَابِ الْمِنَّةِ عَشَرَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لاَ يَلْهُو) وَفِي حِجَابِ الرَّحْمَةِ تِسْعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ الرَّفِيعِ الأَعْلَى) وَفِي حِجَابِ السَّعَادَةِ ثَمَانِيَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لاَ يَسْهُو) وَفِي حِجَابِ الْكَرَامَةِ سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لاَ يَفْتَقِرُ) وَفِي حِجَابِ الْمَنْزِلَةِ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ) وَفِي حِجَابِ الْهِدَايَةِ خَمْسَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) وَفِي حِجَابِ النُّبُوَّةِ أَرْبَعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) وَفِي حِجَابِ الرِّفْعَةِ ثَلاَثَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ) وَفِي حِجَابِ الْهَيْبَةِ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) وَفِي حِجَابِ الشَّفَاعَةِ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ)؛ ثُمَّ أَظْهَرَ عَزَّ وَجَلَّ اسْمَهُ عَلَى اللَّوْحِ وَكَانَ عَلَى اللَّوْحِ مُنَوَّراً أَرْبَعَةَ آلافِ سَنَةٍ ثُمَّ أَظْهَرَهُ عَلَى الْعَرْشِ فَكَانَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مُثْبَتاً سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ إِلَى أَنْ وَضَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُلْبِ آدَمَ ثُمَّ نَقَلَهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ إِلَى صُلْبِ نُوحٍ ثُمَّ جَعَلَ يُخْرِجُهُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ صُلْبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَكْرَمَهُ بِسِتِّ كَرَامَاتٍ أَلْبَسَهُ (قَمِيصَ الرِّضَا) وَرَدَّاهُ (رِدَاءَ الْهَيْبَةِ) وَتَوَّجَهُ (تَاجَ الْهِدَايَةِ) وَأَلْبَسَهُ (سَرَاوِيلَ الْمَعْرِفَةِ) وَجَعَلَ تِكَّتَهُ (تِكَّةَ الْمَحَبَّةِ يَشُدُّ بِهَا سَرَاوِيلَهُ) وَجَعَلَ نَعْلَهُ (الْخَوْفَ) وَنَاوَلَهُ (عَصَا الْمَنْزِلَةِ)؛ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ اذْهَبْ إِلَى النَّاسِ فَقُلْ لَهُمْ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ؛ وَكَانَ أَصْلُ ذَلِكَ الْقَمِيصِ فِي سِتَّةِ أَشْيَاءَ قَامَتُهُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَكُمَّاهُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَدِخْرِيصُهُ مِنَ الْبِلَّوْرِ الأَصْفَرِ وَإِبْطَاهُ مِنَ الزَّبَرْجَدِ وَجُرُبَّانُهُ مِنَ الْمَرْجَانِ الأَحْمَرِ وَجَيْبُهُ مِنْ نُورِ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ فَقَبِلَ اللهُ تَوْبَةَ آدَمَ عليه السلام بِذَلِكَ الْقَمِيصِ وَرَدَّ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ بِهِ وَرَدَّ يُوسُفَ إِلَى يَعْقُوبَ بِهِ وَنَجَّى يُونُسَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ بِهِ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام نَجَّاهُمْ مِنَ الْمِحَنِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْقَمِيصُ إِلاَّ قَمِيصَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. (الخصال:٢/٤٨٣)

وعن سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه في حديث طويل قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الاثنا عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟»، فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائه: الله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنية، وأرضاً مدحية، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنا بعلمه نوراً نسبحه ونسمع ونطيع». (بحار الأنوار:٩/١٥)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «...إِنَّ اللهَ خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدَمَ حِينَ لاَ سَمَاءٌ مَبْنِيَّةٌ وَلاَ أَرْضٌ مَدْحِيَّةٌ وَلاَ ظُلْمَةٌ وَلاَ نُورٌ وَلاَ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرٌ وَلاَ جَنَّةٌ وَلاَ نَارٌ»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ عم النبي صلى الله عليه وآله: فَكَيْفَ كَانَ بَدْأُ خَلْقِكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «يَا عَمِّ لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَنَا تَكَلَّمَ كَلِمَةً خَلَقَ مِنْهَا نُوراً ثُمَّ تَكَلَّمَ كَلِمَةً أُخْرَى فَخَلَقَ مِنْهَا رُوحاً ثُمَّ مَزَجَ النُّورَ بِالرُّوحِ فَخَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَكُنَّا نُسَبِّحُهُ حِينَ لاَ تَسْبِيحَ وَنُقَدِّسُهُ حِينَ لاَ تَقْدِيسَ فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُنْشِئَ الصَّنْعَةَ فَتَقَ نُورِي فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ فَالْعَرْشُ مِنْ نُورِي وَنُورِي مِنْ نُورِ اللهِ وَنُورِي أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ أَخِي عَلِيٍّ فَخَلَقَ مِنْهُ الْمَلاَئِكَةَ فَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ وَنُورُ عَلِيٍّ مِنْ نُورِ اللهِ وَعَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ فَخَلَقَ مِنْهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فَالسَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ مِنْ نُورِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ وَنُورُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مِنْ نُورِ اللهِ وَابْنَتِي فَاطِمَةُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدِي الْحَسَنِ وَخَلَقَ مِنْهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ نُورِ وَلَدِيَ الْحَسَنِ وَنُورُ الْحَسَنِ مِنْ نُورِ اللهِ وَالْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدِيَ

الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَّةَ وَالْحُورَ الْعِينَ فَالْجَنَّةُ وَالْحُورُ الْعِينُ مِنْ نُورِ وَلَدِيَ الْحُسَيْنِ وَنُورُ وَلَدِيَ الْحُسَيْنِ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَوَلَدِيَ الْحُسَيْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحُورِ الْعِينِ ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الظُّلُمَاتِ أَنْ تَمُرَّ عَلَى سَحَائِبِ الْقَطْرِ فَأَظْلَمَتِ السَّمَاوَاتُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَقَالَتْ إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا مُنْذُ خَلَقْتَنَا وَعَرَّفْتَنَا هَذِهِ الْأَشْبَاحَ لَمْ نَرَ بُؤْساً فَبِحَقِّ هَذِهِ الْأَشْبَاحِ إِلاَّ مَا كَشَفْتَ عَنَّا هَذِهِ الظُّلْمَةَ فَأَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ نُورِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ قَنَادِيلَ فَعَلَّقَهَا فِي بُطْنَانِ الْعَرْشِ فَأَزْهَرَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَ ثُمَّ أَشْرَقَتْ بِنُورِهَا فَلِأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَتِ الزَّهْرَاءَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا لِمَنْ هَذَا النُّورُ الزَّاهِرُ الَّذِي قَدْ أَشْرَقَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا هَذَا نُورٌ اخْتَرَعْتُهُ مِنْ نُورِ جَلَالِي لِأَمَتِي فَاطِمَةَ ابْنَةِ حَبِيبِي وَزَوْجَةِ وَلِيِّي وَأَخِي نَبِيِّي وَأَبِي حُجَجِي عَلَى عِبَادِي أُشْهِدُكُمْ مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَ تَسْبِيحِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ وَشِيعَتِهَا وَمُحِبِّيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ الْعَبَّاسُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَلِكَ وَثَبَ قَائِماً وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْ عَلِيٍّ عليه السلام وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.(تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة:١٤٥. بحار الأنوار:١١/١٥)

كذلك نقرأ في الزيارة الجامعة نخاطب أهل البيت محمد وآل محمد عليهم السلام والذين مركزهم ومحورهم الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام: «... خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ...».(من لا يحضره الفقيه:٢/٦١٣)

فالزهراء عليها السلام في طبقاتها العليا هي من الأسماء الحسنى كما قال ولدها الإمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام: «نَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلاً إِلاَّ بِمَعْرِفَتِنَا».(الكافي:١/ ١٤٤)

وفي طبقة من طبقات وجودها النوري أنها محيطة بالعرش.

فهناك روايات تشير إلى طبقاتها النورية من جهات عدّة وروايات تشير إلى طبقاتها العلوية العالية، فخلقها الله عزّ وجل من نوره قبل أن يخلق آدم، وهي من طبقتها النورية.

وأشارت الرواية إلى أنها كانت في حقة.

فالرواية وهم أعلم صلوات الله عليهم تشير إلى طينتها في طبقتها الأرضية كانت وعاء تحت ساق العرش، والحقة: بمعنى وعاء في اللغة.

ولكن المعصوم عليه السلام ذكر حقّة أو وعاء ليقرب لنا المعنى والوصف لأنّ في العرش وفي بعض

الأخبار أن التفاحة نزلت من الجنة ولا تعارض فإنّ طينتهم مـن الجنـة ثـم جعلت تحت العرش.

فـالمعـاني تقريبية فهناك الأشياء لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت على قلب بشر فالمعصوم عليه السلام يشبه ذلك الأمر بالحقّة لكي يقرب لنا صورة المعنى.



وأمّا ما تحدثت به الرواية أن الـزهـراء خرجت من صلب النبي صلى الله عليه وآله لا من صلب آدم فالنبي صلى الله عليه وآله يريد الإشارة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام عندما يقال أن طبقتهم الأرضية النازلة في صلب آدم لا أنّهم والعياذ بالله يخرجون من موضع البول من نبي إلى نبي حاشا.

بل الـقـرآن يصفه بـقـوله: ﴿ ...وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ .(الشعراء:٢١٨)

فهو ينقلب من نبي إلى آخر لا عن ذلك الموضع إنّما يد القدرة الإلهية ترفع ذلك النور من نبي وإلى آخر.

والفرق بينهم أنّهم انتقلوا من العرش إلى أصلاب الأنبياء يقلبهم الله تعالى من نبي إلى نبي إلاّ الزهراء عليها السلام فقد كانت في حقّة تحت العرش، حتى جعلها الله تعالى في ثمرة الجنة وأخذها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فأكلها وصارت نطفة في النبي صلى الله عليه وآله.

وأمّا ما ذكرت في الرواية من أنّها نطفة، قد تسميها الـروايات نطفة ولكنها ليست كالنطفة التي يعرفها الناس.

وإنّمـا هي نـور من العرش ومـن الجنة، أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة. والروايات الشريفة صرحت أن ما لأولهم لآخرهم.

وفي الثمرة التي أكلها النبي صلى الله عليه وآله وهي التفاحة لا يعمّ جميع التفاح، فالتفاحة الـتي أهـداهـا الله تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه هي مختلفة تماماً مـع الفاكهة الـتي نـراهـا بين أيدينا، نعم لا إشكال أنّ للتفاح فوائد ومزايا لا تمتلكها غيرها من الفواكه، لكن التفاحة التي تتحدث عنها الـروايـة فيها النيزك النوري لبدن فاطمة، فهي تفاحة مـن الجنـة ومن العرش وهي استثنائية إذ لا عين رأت مثلها وخطر على قلب بشر.

فإنها التفاحة الخاصة الملكوتية التي لا علاقة لها بتاتاً بالتفاح الذي بين أيدينا، نعم قد نسمع من بعض الـروايـات أن فاطمة عطرها التفاح، ونقرأ أيضاً أن ببركات فاطمة وآل فاطمة تخرج الأرض ثمارها ومنها التفاح؛ لكن لا علاقة لتلك التفاحة الملكوتية النورانية الإلهية بالتفاح الذي بين أيدينا ويزرع في الأرض ويأكله البشر، فتفاحة الجنة نور تشير إلى النور وأنتجت نور الأنوار، وأما تفاحنا تتحول إلى فضلات وما إلى ذلك.

ومـن الممكن أن الـروايـة تشير إلى الثمرة، فأشار الإمام عليه السلام بالتفاحة، لتقريب معنى الثمار.

كذلك فزع النبي صلى الله عليه وآله، إنما هو فزع يشير إلى الأمة بعظمة نور فاطمة عليها السلام الذي تجلى في تلك التفاحة؛ إذن فما بالكم بنور فاطمة المتجلي في كل العوالم... وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

وبعبارة أخرى يطبق قول (إيـاك أعني واسمعي يا جـاره)، فالرواية تشير إلى عظمة نـور فاطمة عليها السلام، وليس الفزع المذكور هو من الخوف أو ما يعرفه الإنسان من الفزع، إذ هذا بعيد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

بقلم: الشيخ محمد الأنباري

هل عاشت أُمُّ البنين إلى واقعة الطف؟

يطرح البعض تساؤلاً حول صحّة ما يُروى من كونها عاشت إلى واقعة الطف ووصلتها أنباء الفواجع التي جرت هناك.

ويصل البعض إلى حدّ نكران هذا الأمر مستندين إلى عدة أمور:

١. ما روي في كتاب الفتوح لابن الأعثم من أنّ عمر الأطرف بن أمير المؤمنين نازع أولاد العباس على تركة أعمامهم الشهداء في كربلاء، فلو كانت أم البنين حية يوم شهادتهم لكان إرثهم لها كونهم لم يلدوا ومنها ينتقل الإرث إلى أحفادها عند وفاتها دون أولاد زوجها.

٢. إنّ رواية بكائها على أولادها في البقيع، أول من رواها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين)، وقد ذكر في الرواية أنّها كانت تخط أربعة قبور وتبكي عندها حتى أبكت لبكائها كل عدو وصديق، حتى أنّ مروان بن الحكم كان يبكي لبكائها عندما يمرّ بها.

ولا يعقل من مثل مروان إلاّ الشماتة بحق أهل البيت عليهم السلام لشدّة نصبه وعدائه لهم، فالرواية من مختلقات أبي الفرج لكونه مرواني النسب، تلميعاً لصورة جدّه، ولكن من يتأمل في الاستدلالات المذكورة يجد أنّها لا تصمد أمام النقد.

١. أمّا ما روي في فتوح بن الأعثم فيلاحظ على الاستدلال ما يلي:

أ: إنّ فتوح بن الأعثم كتاب من كتب التاريخ، وتقدّمه النسبي على غيره لا يجعل منقولاته من المسلّمات التي يرجع إليها في تصحيح غيرها، فالشك واردٌ بحق ما ذكره أيضاً.

ب: ما ذكره لنا فتوح بن الأعثم هو أنّ عمر الأطرف ادّعى على ولد العباس، ولم يذكر لنا أنّه ادّعى بحق حتى نرتب الأثر الشرعي وندّعي كونه هو الوارث، فكم من مدّعٍ يدّعي أمراً مخالفاً للحق، خاصة وأنّ عمر الأطرف شخصية وقف التاريخ منها موقف المشكك في صلاحها.

٢. وأمّا ما روي في مقاتل الطالبيين فيلاحظ له:

أ: إنّ بكاء مثل مروان لمصيبة أم البنين لا يتنافى مع نصبه وعدائه، بل إنّ فجيعة الموقف قد تؤثر حتى في العدو، من باب عظم المصاب لا من باب المودّة.

ولهذا شواهد في مقتل سيد الشهداء روته أوثق كتب المقاتل والسير كبكاء عمر بن سعد عندما واجهته الحوراء زينب عليها السلام وقالت له: «أي عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟».

والحال أنّه كان يصدر الأوامر للشروع في عملية القتل.

خاصة وأنّ أم البنين ليست من البيت الهاشمي وإن كانت زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، ومن هنا فإنّ دواعي الحقد على البيت النبوي تخف لدى مثل مروان عند نظره إلى المصيبة من المنظار الشخصي لأم البنين وحدها بمعزل عن باقي أفراد العترة النبوية.

ب: لو سلّمنا جدلاً بأنّ أبا الفرج قد لفّق قضية بكاء مروان تلميعاً لصورته، فإنّ مقتضى الحذاقة تعليق ما يراد تلفيقه على واقعة قوية الوجود ليستمد من قوتها. لا تعليقه على واقعة ملفقة من أصلها فتحتاج إلى ما يثبتها أولاً قبل أن يثبت ما تعلق بها. فلو لم تكن أم البنين موجودة وقتها لكان أحرى بأبي الفرج أن يعلق قصة مروان على قضية معلومة الحصول، بأن يلفق له تفاعلاً مع شخصية يسلّم ببقائها حية وقت الواقعة كالعقيلة زينب أو السيدتين سكينة والرباب، فإنّ ذلك أقوى لما يريد.

خلاصة القول: يُستفاد مما سبق أن وجود أم البنين مروي صريحاً في المصادر التاريخية. وأمّا عدم وجودها فمتصيّد تصيّداً لا يصمد أمام النقد.

ونفي الصريح بالتصيد غير الثابت مما لا يرجحه أحد من أهل التحقيق.

مرتضى حيدر شرف الدين

من هي أُمُّ البنين؟

هي فاطمة بنت حزام.(بحار الأنوار:٤٥/٣٧)
أمّها ثمامة.(مقاتل الطالبيين:٨٢)
وقيل ليلى بنت السهيل بن عامر بن مالك.(أعلام النساء:١/٢٤٢)

وهو ابن أبي براء عامر ملاعب الأسنة، ابن جعفر بن كلاب.(عمدة الطالب:٣٥٦)

وجدَّتها لأمِّها عمرة بنت الطفيل وهو (فارس قرزل بن مالك الأخرم رئيس هوازن، ثمَّ ينتهي النسب إلى الجدِّ الأعلى للنبي وهو عبد مناف.(أعلام النساء:١٠/٢٤٢)

أمُّ البنين بعين رسول الله صلى الله عليه وآله

وأمَّا جدها لأمِّها فلم يعرف في العرب مثله في الشجاعة وهو الملقَّب بملاعب الأسنة، وكان به مرض عضال فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لبيد بن ربيعة (وهو عم حزام بن خالد والد أم البنين مع هدايا فلم يقبلها صلى الله عليه وآله لأنَّه ما كان ليقبل هدية مشرك، ثمَّ أخذ حثوة من الأرض فتفل عليها وقال للبيد: «دفها بماء ثمّ أسقه إيَاها فأخذها متعجباً يرى أنَّه قد استهزئ به فشربها فأطلق من مرضه».(سفينة البحار:٢/٥٠٣)

ويظهر أنَّ النبي عمد إلى هذا العمل لعلمه بأنَّ أم البنين في صلبه، لذا فالمحافظة عليه إنَّما هي لتهيئة المقدِّمات ليتشرَّف الوجود بولادة أم البنين عليها السلام.

إذاً فهي مورد عناية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمَّا لبيد هذا فهو معروف بشعره ويكفيه فخراً ما قال في حق شعره رسول الله صلى الله عليه وآله: أصدق كلمة قالها العرب كلمة لبيد حينما قال:

ألا كل شيء ما سوى الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

(مصباح الشريعة:٦٠)

وهو القائل مفتخراً بأن أم البنين منهم:

يا واهب الخير الجزيل من سعه
نحن بنو أم البنين الأربعة

وقد ترك الشعر منذ أن أسلم وقال: ما كنت لأقول شعراً وقد علَّمني الله البقرة وآل عمران.(تنقيح المقال:٢/٤٣)

توجَّه أمير المؤمنين إلى أخيه عقيل بن أبي طالب وهو النسَّابة العارف بأنساب العرب وأخبارهم وقال له: انظر إليّ امرأة قد ولدها الفحولة من العرب لأتزوَّجها، فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام ابن خالد الكلابيَّة.(أدب الطف:١/٧٢)



فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها.(عمدة الطالب:٣٥٧)

طالما أنَّها تحمل كلَّ بذور الخير وقد جُبلَت على الشهامة والكرم فقد أعطاها الله بصيرة نافذة لتدرك المقامات الرفيعة لهذين السيدين اليافعين مع أختهما زينب الكبرى فصارت نبراساً يذكر في الوفاء لبيت أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد شرَّفها الله تعالى بأن جعلها من ذوات الأرحام المطهرة التي كانت ظرفاً لأبي الفضل العباس وإخوته محقِّقة بذلك الأمل الذي كان يرمي إليه الإمام علي عليه السلام.

ذات صباح يوم أقبلت أمَّ البنين إلى أمِّها ثمامة وأخبرتها أنَّها رأت في منامها كأن قمر السماء وثلاثة كواكب معه قد صارت في حجرها فضمتهم إلى صدرها وهي فرحة مسرورة. وحين انتبهت من نومها ولم تجدهم حزنت على فقدهم، فاصطحبت الأم ابنتها إلى معبّر الرؤيا فأخبرها بأنَّها سوف تتزوج من رجل عظيم وتنجب منه أربعة أولاد أكبرهم يكون كالقمر بين النجوم.(أم البنين:٤٩)

والأربعة هم العباس وجعفر وعبد الله وعثمان.(بحار الأنوار:٤٢/٨٩)

كانت ولادة أبي الفضل سنة ٢٦هـ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ ولدي العباس زُقّ العلم زقّاً»، ووُصف بأنَّه كان بطلاً وسيماً إذا ركب المطهم كانت رجلاه تخطان الأرض.

وحين شهادته في كربلاء كان له من العمر ٣٥ سنة.

ثمَّ أنجبت عبد الله بعد عشر سنوات وكان عمره يوم شهادته ٢٥ سنة وقد جاء ذكره في زيارة الناحية المقدَّسة: «السلام على عبد الله ابن أمير المؤمنين عليه السلام مبلي البلاء والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء والمضروب مقبلاً ومدبراً.

ثمَّ جاء المولود الثالث عثمان على اسم أخيه في الله عثمان بن مظعون واستشهد عن عمر ٢٣ سنة.

ثمَّ أنجبت عليها السلام الكوكب الرابع جعفر على اسم شقيق أمير المؤمنين عليه السلام جعفر الطيار، ويوم شهادته كان له من العمر ٢١ سنة.

أمَّا الأحفاد فظاهر الأمر أنَّ الأحفاد كلهم من ولد أبي الفضل العبَّاس عليه السلام، وقد رزق من الأبناء عبيد الله والفضل والحسن ومحمد والقاسم وبنتاً واحدة.(زينب الكبرى للنقدي:١٢)

وما زال نسله المبارك موجوداً إلى عصرنا الحاضر وهم منتشرون في العراق واليمن والهند وطبرستان ومصر وغيرها.(بطل العلقمي:٣/٤٣٥)

عصارة الإيثار والفداء

حبّ أم البنين للحسين لم يقف عند حد، وهذا يظهر من سيّدتنا الطيبة منذ دخولها إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تجلّى هذا الحب والحنان في أصعب اللحظات حين نُعي إليها أولادها الأربعة فكلّما كان بشرٌ ينعى إليها أحد أولادها كانت تقول أخبرني عن الحسين عليه السلام حتَّى نعى إليها أبا الفضل العباس عليه السلام فقالت: يا هذا قطَّعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام.(تنقيح المقال:٣/٧٠)

وتعتبر أم البنين أوّل من أقام مجالس العزاء في دارها، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولمقامها ومنزلتها زارتها السيدة زينب الكبرى عليها السلام بعد منصرفها من واقعة الطف كما كانت تزورها أيام العيد.(رياض الأحزان:٦٠. زينب الكبرى من مجموعة الشهيد الأول:٢٥)

من رثاء أولادها الأربعة

لا تدعوني ويك أم البنين
تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم
واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى
قد واصلوا الموت بقطع الوتين

وفاتها عليها السلام

لم يؤرخ المؤرخون لأم البنين عليها السلام تاريخ وفاتها إلا أنَّ الخطيب مهدي السويج في كتابه أم البنين ذكر أنه سأل عدَّة مرات أهل الخبرة فلم يحصل على جواب شاف.

وذات يوم تناول كتاباً وهو مخطوطة يعود تاريخ خطِّها إلى عام ١٢٢١هـ باسم (كنز المطالب) للعلامة محمد باقر الهمداني ذُكر فيه تاريخ وفاة أم البنين في الثالث عشر من جمادي الآخر ودُفنت بالبقيع.

وعن الأعمش يقول: دخلت على الإمام زين العابدين في الثالث عشر من جمادي الثانية وكان يوم الجمعة فدخل الفضل بن العباس عليه السلام باكياً حزيناً وهو يقول: لقد ماتت جدتي أم البنين فقال: كيف فجع أهل الكساء مرتين في شهر واحد؟

ويضيف الخطيب ثم عثرت بعد مدة على خبر في هامش وقائع الشهور والأيام للبيرجندي وفيه أنَّ أم البنين توفيت سنة ٦٤هـ.(أم البنين سيدة نساء العرب:٨٤)

من كانت له حاجة

من كانت له حاجة ملحة فليقرأ الفاتحة لأم البنين مع الصلاة على محمد وآل محمد فإن شاء الله تقضى بإذنه تعالى وهي من المجربات، فهي باب من أبواب أهل البيت عليهم السلام، اللهم عرّفنا مقامهم واحشرنا معهم.

محمد فاضل محمد

الحكمة الرضوية في الدولة الإلهية

تعدّ الدولة العباسية آنذاك من الدول العظمى، إذ لا وجود لدولة عظمى أخرى إلا الروم والهند والصين وغيره.

وقد اضطرت هذه الدولة أن تضع للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام موقعاً في مصير الخلافة الإسلامية.

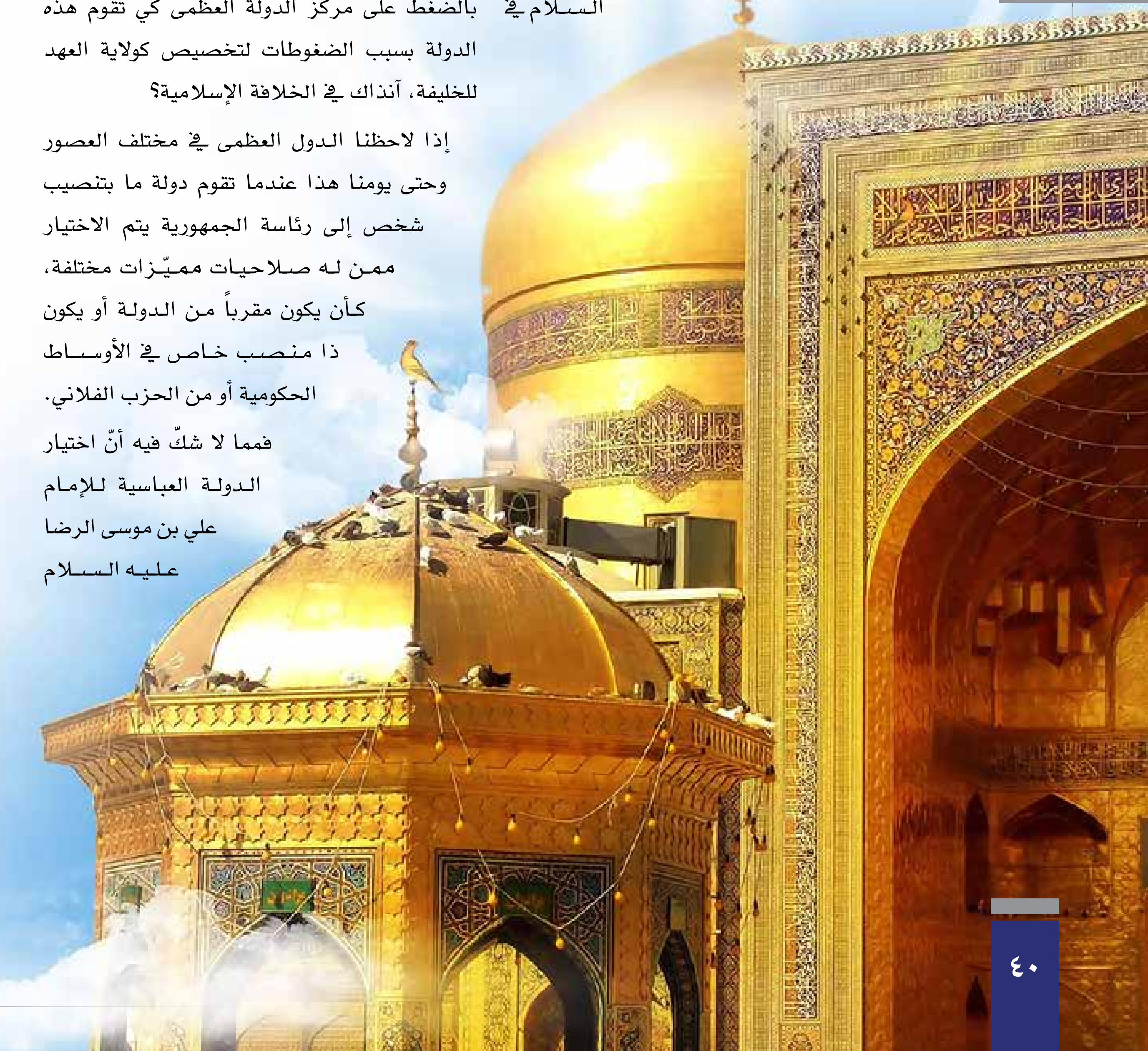
لماذا المأمون العباسي يرسم موقعاً للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في الخلافة الإسلامية ومصير الأمة من دون علماء المسلمين آنذاك الذين تعج بهم البلدان؟

هل هناك ضغوطات من الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام محسوسة وملموسة؟ أو أنّ المأمون خاف من الثورة الشيعية ضد الدولة العباسية بعد استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام في سجن هارون؟

بعبارة أخرى هل كان الإمام عليه السلام يمتلك تنظيمات عسكرية أو أمنية أو سياسية بحيث يقوم بالضغط على مركز الدولة العظمى كي تقوم هذه الدولة بسبب الضغوطات لتخصيص كولاية العهد للخليفة، آنذاك في الخلافة الإسلامية؟

إذا لاحظنا الدول العظمى في مختلف العصور وحتى يومنا هذا عندما تقوم دولة ما بتنصيب شخص إلى رئاسة الجمهورية يتم الاختيار ممن له صلاحيات مميّزات مختلفة، كأن يكون مقرباً من الدولة أو يكون ذا منصب خاص في الأوساط الحكومية أو من الحزب الفلاني.

فمما لا شكّ فيه أنّ اختيار الدولة العباسية للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام



كولي العهد ليس بالصدفة.

فالمأمون العباسي قتل أخاه الأمين، سحب بساط الحكم من تحت قدمي أخيه بل ولم يجعله ولي العهد لنفسه.

لكن بكل اندفاع يجعل الإمام الرضا عليه السلام في مقر ولاية العهد لنفسه؛ فهذا مشهد بارز في حياة الإمام الرضا عليه السلام.

المأمون العباسي والبيعة الرضوية

ليس من شك في أنّ ما أقدم عليه المأمون العباسي من إسناد ولاية العهد إلى علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق عليهما السلام، كانت مشكلة ترتبت عليها وقائع وأحداث تاريخية في الدولة العباسية أبان عهد الخليفة المأمون بالقدر الذي أثارته من جدل بين القدامى والمحدثين حول أمرين:

الأول: الحوافز الحقيقية التي دفعت حاكم الدولة العباسية إلى أن يقدم على هذا العمل غير المألوف.

وثانياً: هل كان ما جرى ينمّ عن رغبة حقيقية عند المأمون في تحويل الخلافة إلى العلويين لوضع حدٍّ للصراع بين البيتين العباسي والعلوي، أو أنّ الأمر كان لا يعدو مناورة بارعة من جانب المأمون لإيجاد حلول لكثير من المشكلات التي واجهت خلافته أولاً ولترسيخ الخلافة في البيت العباسي ثانياً.

وقبل الدخول في الموضوع من المفيد أنْ نثبت إنّ مشكلة الخلافة الإسلامية أو رئاسة الدولة، أثارت وما تزال تثير صراعات دموية وحروب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة وحتى الوقت الحاضر، حتى ليذكر الشهرستاني (...إنّ أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُل على الإمامة في كل زمان).(الملل والنحل:١/٢٨)

ومهما قيل في الخلافة لكننا نلحظ أنّ لأوّل مرة يتجاسر بنو أمية بإعلان الخلافة الوراثية اختراقاً لآية الشورى معللين ذلك بالبيعة العامة والخاصة، لكن ذلك كان تدليساً دينيا على منصب رئاسة الدولة في الإسلام.

ولعل ذلك كان من أسباب ظهور قوى المعارضة التي رعاها هذا التحول.(المعارضة في الإسلام:٢٧)

والذي تمثل بشكل أساسي في معارضة أهل البيت عليهم السلام ضد غاصبي خلافة الرسول صلى الله عليه وآله الذي تحول بعدها إلى المعارضة السرية بسبب ضغط السلطة الحاكمة وجورها وظلمها، كذلك الإقامة الجبرية التي كانت مفروضة على الأئمة عليهم السلام.(الآداب السلطانية:١٦٤)

لكن هذا الاتفاق بين البيتين العباسي والعلوي شابه في بداية الأمر حرب كلامية بين المنصور ومحمد النفس الزكية لأداء كل منها بوراثة الإمامة في بيته.(العصر العباسي الأول:١٥٩)

لكن الأمر حينما تحول إلى خصام سياسي حربي بدأ يلوح في الأفق خطر العلويين على العباسيين بثورات حقيقية تزعمها منهم:

- أبو السرايا في الكوفة.
- والحسين بن إبراهيم في واسط.
- ومحمد بن إسماعيل في المدائن.
- وزيد بن موسى بن جعفر في البصرة.
- ومحمد بن سليمان العلوي في الحجاز.

مما أصبح الوجود العباسي في خطر حقيقي محدق به.

بالإضافة إلى ثورات عديدة في أماكن أخرى كسب فيها العلويون ولاء الناس.(العصر العباسي الأول:١٦٠)

موقعية الإمام الرضا عليه السلام في المجتمع

هناك موقعية كبيرة لدى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، التي خضعت الدولة العباسية آنذاك حيث كان تحت إمرتها قريب خمسين دولة من الدول الموجودة الآن لعرض ولاية العهد على إمام

الشيعة، علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ولا يخفى شراسة ووحشية النظام العباسي والدولة العباسية آنذاك، من حكم عسكري وأمني، حتى أنّ الحكومة العباسية كانت أكثر أمنياً وشراسة من النظام الأموي، مع إجرام الدولة الأموية.

لكن يلجأ النظام العباسي إلى أن يرسم موقعا خطيراً للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وهذا لا يمكن أن يكون صدفة أبداً.

إنّ الصدفة لا مجال لها في عالم السياسة، كذلك في عالم ميزان القوة، فهناك أسباب كبيرة بحجم ضخامة الحدث تلجأ إليها الدول العظمى والحكومات الكبرى.

لا شكّ إنّ قيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام الحكيمة للأمة الإسلامية هي التي تدير أمور الأمة.

فقوة الإمام الرضا عليه السلام في إدارة الأمور لا يراوده شكل ولا عيب، كذلك باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام كما جاء من سيرة المعصومين عليهم السلام كالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فالإمام الصادق عليه السلام قابع في المدينة المنورة تحت ظل النظام الأموي أو العباسي الذي كان أشرس من الأنظمة الحاكمة في هذا الوقت.

لكن الإمام عليه السلام مع كل الضغوطات والمحاربات استطاع أن يبني أكبر حوزة علمية إيمانية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في المدينة المنورة.

عندما نقرأ سيرة المعصومين عليهم السلام لم نلتفت إلى صعوبة الحياة التي عاشها المعصوم في ظل الدول الجائرة العظمى كالدولة الأموية والدولة العباسية.

لكن بمجرد مقارنة الوضع الحالي ورسم صورة في الذهن عن الوضع السابق يظهر جلياً لنا المعاناة والملاحم التي مرّ بها الأئمة عليهم السلام في الدول العظمى كالدولة العباسية والأموية.

استطاع الإمام الصادق عليه السلام أن يؤسس حوزة علمية عظيمة وأن يدرّس الطلبة والكفاءات وأصحاب المعرفة والذي وصل أحاديث أهل البيت عليهم السلام عنهم في التاريخ الإسلامي كزرارة ابن أعين، أو هشام بن الحكم أو علي بن يقطين أو أبي هشام الجعيفري، فهذا كله نتيجة الكفاءة العالية للمعصوم والإدارة العلمية والأمنية والاجتماعية والسياسية القوية في شخصية الإمام الصادق عليه السلام في ظل دولة دكتاتورية عظمى آنذاك.

على فرض المثال: إذا قمنا بمقارنة نظام الديكتاتوري السابق في العراق أو نظام آل سعود مع نظام النظم الديكتاتورية للدولة العباسية والأموية، نرى أن هذه الأنظمة كلها نظام واحد وهدفها واحد تسير باتجاه واحد وبأساليب واحدة لكن قد تختلف الوسائل في الأساليب.

فمع وجود نظام كنظام صدام أو آل سعود يقوم شخص بتأسيس أكبر حوزة في العالم الإسلامي، وأكبر صدى علمي في أمة النبي صلى الله عليه وآله وفي المدينة المنورة، من يكون غير المعصوم عليه السلام المسدّد من الله تبارك وتعالى وبشخصية العظيمة وحكمته البالغة يستطيع في ظل الظلم والجور والقتل والتشريد والسجون أن يؤسس علوماً دينية وطلبة من مختلف بقاع الأرض.

فالإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في المدينة المنورة في ظل أكبر دولة حاكمة وظالمة، بل إنّ دولة الروم ليس بقوة الدولة العباسية، كذلك دولة الهند والصين كلها ليس بهذه القوة.

حينما نقول أكبر دولة عظمى المقصود خيرات وثراءً وازدهاراً وأمنياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً وغير ذلك من الأمور التي تخدم الدول.

فهكذا دولة تلجأ إلى أن تجعل عالماً من العلماء مناوئاً لها في المدينة المنورة في أكبر موقع للدولة وهو نائب الرئيس لتلك الدولة.

بغض النظر عن أن المأمون العباسي أراد مناورة سياسية لضرب الإمام الرضا عليه السلام، لكن إذا نظرنا إلى هذه القوة التي يمتلكها الإمام الرضا عليه السلام حي تخوّف المأمون العباسي منه، وقد انشق البيت العباسي عن المأمون بسبب هذا التصرف وهذا القرار المفاجئ.

فهذه الظاهرة في أهل البيت عليهم السلام متكررة ودالة على أمور كثير.

إذا لاحظنا سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أو سيرة أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، نرى أنّ القوة التي امتلكها الإمام علي عليه السلام في إدارة الدولة ليست قوة عسكرية، ولا قوة أمنية، وإلا لما اغتيل بيد أشقى الأشقياء.

فهو عليه السلام في خلافته لا معاضدة مع تكتلات ولا قبائل ولا عشائر، كما فعلاه قبله الخليفة الأول والثاني حيث اتفقا مع قبيلة بني أسلم بضرب كل من يعارض الدولة أو يعارض الحكومة والخلافة.

بينما أمير المؤمنين علي عليه السلام جاءت الناس بملئ إرادتها على اختلاف بلدانها بايعت أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذه الظاهرة ليس صدفة وفجأة، قال عثمان بن عفان يصف الإمام عليه السلام بقوله: وجودك أنت يا علي، يجذب الناس إليك.

فقوة إدارة الأمة من دون قوة عسكرية هذه بدءاً من أمير المؤمنين وحتى الإمام المهدي عليه السلام.

فقد بويع الإمام الحسن عليه السلام بملئ إرادة المهاجرين والأنصار من دون سيف أو إراقة دماء أو ضغوطات ترهيب وترغيب أبداً.

إذا لاحظنا المد الجماهيري لسيد الشهداء عليه السلام نرى عفوية سير الحشود إلى الإمام الحسين عليه السلام من دون إرغام ولا ترغيب وترهيب.

وهذا يعني أن الدولة الأموية ما استطاعت أن تجابه سيد الشهداء عليه السلام بالرأي وبطريقة المسابقة السلمية، التجأت إلى القوة العسكرية والسلاح والقتل.

نلاحظ هذه الظاهرة كذلك مع الإمام السجاد والباقر والصادق وموسى بن جعفر عليهم أفضل الصلاة والسلام، أنّ الدول العظمى تلك هي التي تستخدم أسلوب التصفية الفردية.

مع أنّ الأئمة عليهم السلام لم يبدءوا بحمل السلاح ولا الجماهير المسلحة ولم يقفوا بوجه الدولة الديكتاتورية بالسلاح، ولم يبدءوا بخلايا تنظيمية سياسية ضد الدولة.

كي لا يعطوا مبرّراً للدولة العباسية أو الأموية لتصفيتهم جسدياً.

مع ذلك نرى الحكومة الأموية والعباسية فعلت ما فعلت بأهل البيت عليهم السلام من القتل والتهجير والتشريد والسبي وغير ذلك من الإجرام والإرهاب.

إن شخصية المعصوم عليه السلام هو يكسب الرأي العام، بل وإدارته الحكيمة لأمور الأمة هي التي تجذب الناس إليه.

بقلم: عبد الجبار العبيدي

الحقـــوق والواجبات

وضع المنهج الإسلامي والشريعة الإلهية حقوقاً وواجبات على كلّ من الزوجين، فضلاً عن الأسس السليمة التي تهدف للوصول إلى الغاية المطلوبة من التكافل الاجتماعي وبيان أهمية علاقة الفرد بالمجتمع، والمجتمع بالأمة، والأمة بباقي الأمم.

فتطبيق مناهج وأصول الشريعة الإلهية في الواجبات والحقوق كفيلة بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة.

فبالتالي التقييد من قبل الزوجين أو من قبل الفرد بالحقوق والواجبات الموضوعة لهم يسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات الزوجية وكذلك العلاقات الاجتماعية التي تكمن دون إطار الأسرة، فهي لتمتين العلاقات الودية ونفي كلّ أنواع المشاحنات والتوترات المحتملة.

فالمشادات والتوتر وعدم التركيز يؤثر سلبياً على جو الاستقرار الذي يحيط بالأسرة والمؤثر بدوره على التوازن الانفعالي للطفل.

من أهم حقوق الزوج هو حق القيمومة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. [النساء: ٣٤]

فالواجب على الزوجة مراعاة هذا الحق لأنّ الحياة الأسرية لا تسير بلا قيمومة، والقيمومة للرجل منسجمة مع طبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكلّ من الزوجين، وأن تراعي هذه القيمومة في تعاملها مع الأطفال وتشعرهم بمقام الأب في الحياة الأسرية.

ومما جاء عن السنة النبوية الشريفة من الأحاديث حينما أتى رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وآله بابنة له فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجَهَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيُّ وَإِنَّهُ ضَرَبَهَا فَأَثَّرَ فِي وَجْهِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فِي الْأَدَبِ». (الجعفريات: ١٠٨)

ومن الحقوق بعد حق القيمومة روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما سألته امرأة عن حق الزوج على المرأة أنّه قال: «أَنْ تُطِيعَهُ وَلَا تَعْصِيَهُ، وَلَا تَصَدَّقَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَصُومَ تَطَوُّعاً إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ وَلَا تَخْرُجَ



مِنْ بَيْتِهَا إِلاَّ بِإِذْنِه...».(الكافي:٥/٥٠٧)

من حقوق الزوج كما أكّد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على ذلك قوله: «حَقُّ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ إِنَارَةُ السِّرَاجِ وَإِصْلاَحُ الطَّعَامِ وَأَن تَسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا فَتُرَحِّبَ بِه وَأَنْ تُقَدِّمَ إِلَيْه الطَّشْتَ وَالْمِنْدِيلَ وَأَنْ تُوَضِّئَهُ وَأَنْ لاَ تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا إِلاَّ مِنْ عِلَّة».(مكارم الأخلاق:٢١٤)

ولأهمية مراعاة هذا الحق قال صلى الله عليه وآله أيضاً: «لاَ تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا».(مستدرك الوسائل:١٤/٢٥٨)

ووضع المنهج الإسلامي حقوقاً للزوجة يجب على الزوج مراعاتها، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام جواباً عن سؤال إسحاق بن عمار عن حق المرأة على زوجها فقال عليه السلام: «يُشْبِعُ بَطْنَهَا وَيَكْسُو جُثَّتَهَا وَإِنْ جَهِلَتْ غَفَرَ لَهَا».(من لا يحضره الفقيه:٣/٤٤٠)

وأجاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن سؤال خولة بنت الأسود حول حق المرأة بقوله: «حَقُّك عَلَيْه أَنْ يُطْعِمَك مِمَّا يَأْكُلُ وَيَكْسُوَك مِمَّا يَلْبَسُ وَلاَ يَلْطِمَ وَلاَ يَصِيحَ فِي وَجْهِك».(مكارم الأخلاق:٢١٨)

ومن حقّها مداراة الزوج لها وحسن صحبته لها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية: «إِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة فَدَارِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا لِيَصْفُوَ عَيْشُك».(من لا يحضره الفقيه:٣/٥٥٦)

ومن حقّ الزوجة وباقي أفراد العائلة هو إشباع حاجاتهم المادية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يَسُدَّ جَوْعَتَهَا وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهَا وَلاَ يُقَبِّحَ لَهَا وَجْهاً فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّى وَاللهِ حَقَّهَا». (بحار الأنوار:١٠٠/٢٥٤)

الالتزام بحقوق الزوج من قبل الزوجة وبحقوق الزوجة من قبل الزوج ضروري لإشاعة الاستقرار في أجواء الأسرة، فيكون التفاعل إيجابياً ويدفع كلا الزوجين للعمل من أجل سعادة الأسرة وسعادة الأطفال، واستقرار المرأة في مرحلة الحمل والرضاعة ومرحلة الطفولة المبكرة يؤثر في استقرار الطفل واطمئنانه، والانطلاق في الحركة على ضوء ما مرسوم له من نصائح وإرشادات وتوجيهات فينشأ مستقر الشخصية سوّياً في أفكاره وعواطفه وسلوكه.

محمد العطار

بركة تسبيح الزهراء عليها السلام

وردت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يظهر من خلالها عظم ثواب هذا التسبيح، وعلو مقام صاحبته السيدة فاطمة عليها السلام ولكي يتضح الأمر نورد هذه الرواية ونورد ما يفسّرها.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ». (ثواب الأعمال وعقابها: ص١٦٣).

بعد الوقوف على تفسير الرواية يظهر لنا مدى عظم أجر هذا التسبيح العظيم، ومدى اهتمام الإمام المعصوم بذلك، ولكي يتضح هذا الأمر نورد ما يلي:

مقام الإمام المعصوم

إنّ الإمامة هي المقام السامي، وأس الإسلام النامي، والنور الذي يستضاء به، والعلم الذي يهتدى به.

قال الإمام الرضا عليه السلام في وصف الإمامة: «...الإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وَأَعْظَمُ شَأْناً وَأَعْلَى مَكَاناً وَأَمْنَعُ جَانِباً وَأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ إِنَّ الإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالْخُلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَفَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَالَ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُرُوراً بِهَا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ فَقَالَ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عليه السلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ إِنَّ الإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الأَوْصِيَاءِ؟!

إِنَّ الإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالأَطْرَافِ

الإمَامُ يُحِلُّ حَلاَلَ اللهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ الإمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَهِيَ فِي الأُفُقِ بِحَيْثُ لاَ تَنَالُهَا الأَيْدِي وَالأَبْصَارُ الإمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى وَأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ وَلُجَجِ الْبِحَارِ الإمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى الإمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ الإمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ وَالأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ الإمَامُ الأَنِيسُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالأَخُ الشَّقِيقُ وَالأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ الإمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلاَدِهِ وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ وَالذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ الإمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدِّينِ وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ الإمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لاَ يُدَانِيهِ أَحَدٌ وَلاَ يُعَادِلُهُ عَالِمٌ وَلاَ يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ وَلاَ لَهُ مِثْلٌ وَلاَ نَظِيرٌ مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلاَ اكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإمَامِ أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلَّتِ الْعُقُولُ وَتَاهَتِ الْحُلُومُ وَحَارَتِ الأَلْبَابُ وَخَسَأَتِ الْعُيُونُ وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ وَتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ وَجَهِلَتِ الأَلِبَّاءُ وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ وَعَجَزَتِ الأُدَبَاءُ وَعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ وَأَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُغْنِي غِنَاهُ لاَ كَيْفَ وَأَنَّى وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمُ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَذَبَتْهُمْ وَاللهِ أَنْفُسُهُمْ وَمَنَّتْهُمُ الأَبَاطِيلَ فَارْتَقَوْا مُرْتَقًى صَعْباً دَحْضاً تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ رَامُوا إِقَامَةَ الإمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ وَآرَاءٍ مُضِلَّةٍ فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلاَّ بُعْداً قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ وَلَقَدْ رَامُوا صَعْباً وَقَالُوا إِفْكاً وَضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الإمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾ وَقَالَ ﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾... فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ يَخُصُّهُ اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيُقَدِّمُونَهُ تَعَدَّوْا وَبَيْتِ اللهِ

الْحَقَّ وَنَبَذُوا كتابَ اللَّه وَراءَ ظُهُورهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءُ فَنَبَذُوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَمَقَّتَهُمْ وَأَتْعَسَهُمْ فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وَقَالَ فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ وَقَالَ ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً». (الكافي للكليني: ج١، ص٢٠٠-٢٠٣)

فالإمام من جسّد هذه الصفات في الواقع الخارجي ومن خلال ذلك اتضحت عظمة الإمام بالمعنى العام.

وأمّا عظمة الإمام الصادق عليه السلام فقد ورد ذلك على لسان أهل بيته عليهم السلام ومعاصريه من أهل العلم نذكر بعضاً مما ورد:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا وُلِدَ ابْنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب عليهم السلام فَسَمُّوهُ الصَّادِقَ». (كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٣٢٠.)

وعن محمد بن مسلم قال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليهما السلام إِذْ دَخَلَ جَعْفَرٌ ابْنُهُ وَعَلَى رَأْسِه ذُؤَابَةٌ وَفِي يَده عَصًا يَلْعَبُ بِهَا فَأَخَذَهُ الْبَاقِرُ عليه السلام وَضَمَّهُ إِلَيْه ضَمّاً ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي...»، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا مُحَمَّدُ هَذَا إِمَامُكَ بَعْدِي فَاقْتَدِ بِه وَاقْتَبِسْ مِنْ عِلْمِه وَاللَّه إِنَّهُ لَهُوَ الصَّادِقُ الَّذِي وَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وَإِنَّ شِيعَتَهُ مَنْصُورُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَاءَهُ مَلْعُونُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ...». (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ص٢٥٣.)

وعن أبي أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَاد الأَزْدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: كُنْتُ أَدْخُلُ إِلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد عليهما السلام فَيُقَدِّمُ لي مخَدَّةً وَيَعْرِفُ لِي قَدْراً... وَكَانَ عليه السلام رَجُلاً لا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ: إِمَّا صَائِماً، وَإِمَّا قَائِماً، وَإِمَّا ذَاكِراً، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الْعِبَادِ وَأَكَابِرِ الزُّهَّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ طَيِّبَ الْمُجَالَسَةِ كَثِيرَ الْفَوَائِدِ. (أمالي الصدوق: ص١٦٩.)



فالصلاة ركعة واحدة من هكذا رجل إلهي معصوم مطهر لا يمكن لأحد أن يحصي ثواب هذه الصلاة، فكيف بثواب صلاة ألف ركعة؟

فلو تأمّلنا مجموع هذا الثواب الذي يناله الإمام الصادق عليه السلام من الركعة الواحدة لكان كثيراً، فكيف إذا صلى الإمام الصادق عليه السلام ألف ركعة فلا يمكن الإحاطة بمقدار ذلك الثواب، ومع كلّ ما سبق من بيان يقول الإمام الصادق عليه السلام أنّ قيامه بتسبيح الزهراء عليها السلام عقب كلّ صلاة أحبّ إليه من صلاة ألف ركعة في كل يوم ودبر كل صلاة.

فظهر مما تقدم أنّ تسبيح الزهراء عليها السلام عظيم الثواب، ولو كان هناك عمل عبادي أكثر خيراً من هذا التسبيح لأعطاه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لابنته كما ذكر الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ عليها السلام». (الكافي الشريف للكليني:٣٤٣/٣)

بقلم: الشيخ علي الفتلاوي



صلاة الجماعة

فضل الجماعة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أول جماعة كانت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه، إذ مرّ أبو طالب وجعفر معه، فقال: يا بني صل جناح ابن عمك، فلما أحس رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً وَهُوَ يَقُولُ:

إِنَّ عَـلِـيّـاً وَجَـعْـفَـراً ثِـقَـتِـي
عِـنْـدَ مُـلِـمِّ الـزَّمَـانِ وَالْـكَـرْبِ
وَاللهِ لاَ أَخْـــذُلُ الـنَّـبِـيَّ وَلاَ
يَـخْـذُلُـهُ مِـنْ بَـنِـيَّ ذُو حَـسَـبِ
لاَ تَـخْـذُلاَ وَانْـصُـرَا ابْـنَ عَـمِّـكُـمَا
أَخِـي لأُمِّـي مِـنْ بَيْـنِـهِـمْ وَأَبِـي

فَـكَـانَـتْ أَوَّلَ جَـمَـاعَـةٍ جُـمِّـعَـتْ ذَلِـكَ الْـيَـوْمَ».(أمالي الصدوق:٥٠٨)

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: إنّ الناس يقولون: إنّ الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة، فقال: «صدقوا».(الكافي:٣/٣٧١)

وقال: «من تركها رغبة عنها، وعن جماعة المؤمنين من غير علة، فلا صلاة له».(المحاسن:١/٨٤)

أي لا صلاة كاملة له.

قال صاحب الجواهر: الجماعة مستحبة في الفرائض كلها كتاباً وسنة، متواترة وإجماعاً، بل ضرورة من الدين، يدخل منكرها في سبل الكافرين؛ وأجمعوا على أنّ الجماعة لا تجوز إطلاقاً في صلاة النوافل.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «...لاَ يُصَلَّى التَّطَوُّعُ فِي جَمَاعَةٍ لأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ...».(الخصال:٢/٦٠٦)

ولا تجب الجماعة بحسب الأصل إلاّ في الجمعة والعيدين مع اجتماع الشروط، وتجب بالعارض، كالنذر والعهد واليمين، وعلى من جهل القراءة إذا أمكنه أن يؤدي الفريضة خلف الإمام.

شروط الجماعة

يشترط في انعقاد الجماعة أمور:

الأمر الأول: العدد

العدد وأقله اثنان: رجلان، أو امرأتان، أو بالتفريق.

سئل الإمام الصادق عليه السلام: الرَّجُلَانِ يَكُونَانِ جَمَاعَةً؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، وَيَقُومُ الرَّجُلُ عَنْ يَمِينِ الإِمَامِ». (٣١٧/٦)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الاثْنَانِ جَمَاعَةٌ». (من لا يحضره الفقيه:٣٧٦/١)

هذا في غير الجمعة والعيدين، إذ لابد فيهما من خمسة.

الأمر الثاني: قصد الائتمام

وذلك أن يقصد المأموم الائتمام بمن يصلي بصلاته، بديهة أن مجرد الصلاة وراءه أو على جانبه، بدون هذا القصد ونية الاقتداء، لا تتحقق الجماعة، كما لا تتحقق الصلاة بمجرد الركوع والسجود بدون قصد الصلاة ونيتها، ويشعر بذلك الحديث النبوي المشهور: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ إِمَاماً لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ كَبِّرُوا».(عوالي اللئالئ:٢٢٥/٢)

وقال صاحب الجواهر: بلا خلاف، هذا هو من أصول المذهب وقواعده.

الأمر الثالث: الإمام

يشترط في إمام الجماعة أن يكون عاقلاً بالبداهة، إذ لا صلاة ولا عبادة لمجنون، وأن يكون بالغاً على المشهور، حتى ولو قلنا بصحة عبادة الصبي المميز، لأنّ لفظة إمام الجماعة تنصرف إلى المكلف البالغ، وأن يكون موالياً للأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

قال الشيخ الهمداني في مصباح الفقيه: بلا خلاف فيه عندنا، بل لعله من ضروريات المذهب، فلقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «لاَ يُقْتَدَى إِلاَّ بِأَهْلِ الْوَلاَيَةِ».(عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٢٣/٢)

ومن شروط الإمام أن يكون عادلاً، قال صاحب الجواهر: لا يجوز الائتمام بالفاسق إجماعاً، محصلاً ومنقولاً، مستفيضاً ومتواتراً، كالنصوص. بل ربما حكي عن بعض السنة موافقتهم للشيعة في ذلك محتجاً بإجماع أهل البيت عليهم السلام.

ومما روي عَنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ رَاشِدٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ مَوَالِيَكَ قَدِ اخْتَلَفُوا فَأُصَلِّي خَلْفَهُمْ جَمِيعاً؟ فَقَالَ: «لاَ تُصَلِّ إِلاَّ خَلْفَ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَلِي مَوَالٍ؟». (الكافي:٣٧٤/٣)

وأن لا يصلي الإمام جالساً، والمأموم واقفاً، فلقد روي بطريق الشيعة والسنة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بأصحابه في مرضه جالساً، فلما فرغ قال: «لاَ يَؤُمَّنَّ أَحَدُكُمْ بَعْدِي جَالِساً».(من لا يحضره الفقيه:٣٨١/١)

ولا بأس أن يكون القاعد إماماً لمثله، والقائم إماماً للقاعد.

ويجوز أن يكون الرجل إماماً للرجال والنساء، أمّا المرأة فلها أن تؤم النساء دون الرجال.

ولا تجوز إمامة من لا يحسن القراءة لمن يحسنها، وتجوز لمثله، على أن يلتقيا ويتحدا في الشيء الذي لم يحسناه، كما لو جهل كل قراءة الحمد، أمّا إذا أحسنها أحدهما دون السورة، وأحسن الآخر السورة دون الحمد، فلا.

ولا يجوز لمن يصلي اليومية أن يقتدي بمن يصلي الآيات والعيد وعلى الجنازة، وعلى العكس.

ويجوز لمن تيمم، أو لذي الجبيرة أن يكون إماماً لمن توضأ، وللسليم، كما يجوز للمسافر أن يكون إماماً للحاضر، وبالعكس، ومن يقضي لمن يؤدي، وبالعكس.

ومن يجهر لمن يخفت، ومن يصلي وجوباً لمن يعيد استحباباً، ومن يصلي العصر لمن يصلي الظهر.

كل ذلك مشهور بين الفقهاء، وفيه نصوص أيضاً.

ولابد للمأموم أن يعيّن الإمام في نفسه بالاسم، أو بالوصف، أو بالاشارة.

الأمر الرابع: الحيلولة

لا تجوز الحيلولة بين الإمام والمأموم بما يمنع المشاهدة، إلاّ إذا كان الإمام رجلاً، والمأموم امرأة، على شريطة أن لا يمنعها الحائل من معرفة أحوال الإمام، لتتمكن من متابعته، ولا يضر تعدد الصفوف مهما كثرت، لأن كل صف يشاهد الصف الذي أمامه، حتى ينتهي إلى الصف الأول الذي يشاهد الإمام.

قال صاحب المدارك: هذا الحكم مجمع عليه بين الفقهاء، والمستند فيه قول الإمام الصادق عليه السلام: إن صلى قوم، وبينهم وبين الإمام ما لا يتخطى فليس ذلك الإمام لهم بإمام، وأي صف كان أهله يصلون بصلاة إمام، وبينهم وبين الصف الذي يتقدمهم قدر ما لا يتخطى، فليس تلك لهم بصلاة، وإن كان بينهم سترة أو جدار، فليس تلك لهم بصلاة، إلاّ من كان بحيال الباب.

أمّا جواز الحائل بالقياس إلى المرأة، فتدل عليه رواية عمار، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الرجل يصلي بالقوم، وخلفه دار فيها نساء، هل يجوز لهن أن يصلين خلفه؟ قال: «نَعَمْ إِنْ كَانَ الإِمَامُ أَسْفَلَ مِنْهُنَّ»، قُلْتُ: فَإِنَّ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَهُ حَائِطاً أَوْ طَرِيقاً، فَقَالَ: «لاَ بَأْس».(تهذيب الأحكام:٣/٥٣)

الأمر الخامس: العلو

إذا تساوى موقف الإمام مع موقف المأموم، أو تفاوت تفاوتاً يسيراً لا يعتد به، صحت الجماعة.

وإن تفاوت كثيراً ينظر: فإن كان المأموم أعلى، صحت الجماعة اطلاقاً، سواء أكان العلو عمودياً، كما لو صلى المأموم على بناء، والإمام على الأرض، أو كان العلو انحدارياً قريباً من التقوس.

وإن كان مكان الإمام هو الأعلى، بطلت الجماعة إن كان العلو عمودياً، وصحت إن كان انحدارياً.

قال صاحب مصباح الفقيه: هذا هو المشهور، بل عن أكثر من واحد دعوى الإجماع عليه، ويدل عليه قول الإمام الصادق عليه السلام: «إن قام الإمام في موضع أرفع من موضعهم - أي موضع المأمومين - لم تجز صلاته.. وإن قام الإمام أسفل من موضع من يصلي خلفه، فلا بأس». (الكافي:٣/٣٨٧)

الأمر السادس: تقدّم الإمام

أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الموقف، ولا بأس بالمساواة فيه، بحيث تتساوى الأعقاب، وإن لم تتساو الرؤوس حين الركوع والسجود، كما لو كان الإمام قصيراً، والمأموم طويلاً.

وإذا تقدم المأموم، بطلت الجماعة، لأنّ المتبادر من لفظ المأموم هو تأخره عن الإمام، ولا أقل من عدم تقدمه عليه.

وعلى الإجماع أن المأموم إمّا أن يتقدم، وإمّا أن يتأخّر، وإمّا أن يساوي الإمام في الموقف. وقد أجمع الفقهاء على بطلان الجماعة في الأول، وعلى صحتها في الثاني.

واختلفوا في الثالث، والمشهور على الصحة، لقول الإمام عليه السلام: «يَؤُمُّ الرَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ يَكُونُ عَنْ يَمِينِهِ فَإِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَامُوا خَلْفَهُ».(الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام:١٢٤)

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ...إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الدُّخُولُ فِي الصَّفِّ قَامَ حِذَاءَ الإِمَامِ أَجْزَأَهُ...».(تهذيب الأحكام:٣/٢٨٣)

الأمر السابع: التباعد

لا يجوز التباعد بين الإمام والمأموم في الموقف بأكثر من المعتاد، بحيث لا يصدق معه اسم الجماعة والاقتداء، بديهة أنّ الأحكام تتبع العناوين والأسماء، ولا يضر تعدد الصفوف وكثرتها بالغة ما بلغت ما دام اسم الجماعة ينطبق عليها.

قال صاحب الجواهر: بلا خلاف في ذلك أجده.

الغدير وحجة الوداع

هناك ثلاث مسائل في عمل الأنبياء والرسل عليهم السلام:

المسألة الأولى

إنّ أصل مهمتهم عليهم السلام هو تبليغ الناس رسالة ربهم فقط.

فالمحور الذي يدور عليه عمل النبي والرسول هو التبليغ والأداء، من أجل إقامة الحجة لربه عزّ وجل على عباده.

فالرسول مبلغ رسالة ربّه ومؤدّيها، وهو يتقي ربه سبحانه ويخاف من غضبه وعذابه إن قصر في الأداء، أو خالف حرفاً مما كلف بأن يؤديه! ولذا تراه يشهد الناس على أنّه أدى إليهم، ليشهدوا له عند ربه.

والرسول مبلغٌ، وليس له إجبار الناس على قبول الهدى، ولا على الالتزام به، ولا يمكنه ذلك من تلقاء نفسه.

فالقاعدة الثابتة التي استوعبها الرسول أنّه لا إجبار ولا إكراه في الدين الإلهي، وحرية الناس يجب أن تبقى محفوظة، ليؤمنوا إن شاؤوا أو يكفروا، ويلتزموا بالدين أو ينحرفوا عنه، لأنّ ذلك معنى فتح مدرسة الحياة في هذه الدار، وامتحان الناس فيها بالهدى والضلال، وإعطاءهم القدرة على فعل الخير أو الشر، ثم محاسبتهم في مرحلة لاحقة في دار أخرى.

فالإجبار على الدين إذن يتنافى مع أصول الامتحان، وحرية الاختيار.

المسألة الثانية

إنّ هدف الأنبياء والرسل عليهم السلام يتركز على القضايا (الكبرى) في حياة الإنسان ومسار المجتمعات.

فالرسول عليه السلام مهندس رباني، لتكامل المجتمعات ومسيرة التاريخ.

وأعماله يجب أن ينظر إليها بهذا المنظار وأن تقاس

بهذا المقياس، وأن يسأل الباحث نفسه: ماذا كان سيحدث في ثقافة الناس ومسار التاريخ، لو لم يبعث هذا الرسول، وماذا حدث بسبب بعثته وأدائه لرسالته؟

أو يسأل: كيف كانت حالة العالم الوثنية اليوم، لو لم يبعث إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام ويرسي أسس التوحيد ويزرع أصوله في مسيرة المجتمع الإنساني؟!

أو كيف كانت حالة البلاد العربية، والعالم في عصرنا، لو لم يبعث نبينا صلى الله عليه وآله، ولم يُحْدِثْ هذا المد الأخير من التوحيد والحضارة؟!

لقد كان عمله صلى الله عليه وآله (تكوين أمة) ودفعها لتأخذ موقعها في مصاف أمم العالم، بل في ريادتها.. وتزويدها بأحسن ما يمكن من مقومات الأمة، مضموناً وشكلاً.

كان عمله إنشاء سفينة، وإطلاقها في بحر شعوب العالم ومجرى التاريخ، وكان حريصاً أن يكون ربانها بعده أهل بيته، الذين اصطفاهم الله وطهرهم، وأورثهم الكتاب، ولكن إن لم تقبل الأمة بقيادتها، فليكن الربان من يكون حتى يبلغ الله أمره في هذه الأمة، ثم يبعث فيها المهدي الموعود عليه السلام.

وعلى هذا، يجب علينا في دراسة سيرة نبينا صلى الله عليه وآله أن ندخل في حسابنا هذه الأمور الثلاثة:

- إنّ الرسول مبلّغ ما أمر به.
- إنّ عمل الرسول إنشاء أمّة وإطلاقها في مسيرة التاريخ.
- إنّ عمل الرسول بتوجيه ربّه.

المتأمّل في سيرة النبي صلى الله عليه وآله يلمس هذه الحقيقة لمساً، وأنّ الله تعالى كان يدير أمره من أول يوم إلى آخر يوم، وكان الرسول يطيع وينفذ، مسلماً أمره إلى ربه، واثقاً به، متوكّلاً عليه، راضياً بقضائه وقدره، ولذا جاءت نتائج عمله فوق ما يتصور العقل البشري.

لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وآله أن يحدث مداً عقائدياً حضارياً عالمياً في أقل مدة، وأقل كلفة من الخسائر البشرية والمادية.

فرغم شراسة الأعداء والحروب لم تبلغ قتلى المسلمين

←

ألف قتيل!! وما ذلك إلا بسبب إدارة وتدبير الرسول صلى الله عليه وآله.

كان القرآن يتنزل عليه باستمرار من أول بعثته إلى قرب وفاته، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيه دائماً، بآيات قرآنٍ، أو وحي غير القرآن، وأوامر وتوجيهات، وأجوبة... الخ.

وما أكثر الأمثلة في سيرته صلى الله عليه وآله على ذلك، فهي مليئة بالتدخل الإلهي والرعاية في كبير أموره وصغيرها.

وقد ورد أنّه صلى الله عليه وآله قال: (أوتيت الكتاب ومثله معه، أي ما كان جبرئيل يأتيه به من السنن). (الإيضاح:٢١٥)

وأنّ جبرئيل كان ينزل عليه بالسنة كما ينزل بالقرآن. (الدارمي:١/١٤٥)

وهذه التوجيهات شملت حله وترحاله، ورضاه وغضبه صلى الله عليه وآله بل شملت حتى أموره الشخصية، من زواجه وطلاقه، ولباسه وطعامه، ونومه ويقظته، ووضوئه وسواكه، فضلاً عن عطائه ومنعه، وحبه وبغضه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قصة شخص كافر جاء يحاج النبي صلى الله عليه وآله ويكذبه ويؤذيه ويتهدده، قال: فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتَرَبَّد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: «ربك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام»، فسكن النبي صلى الله عليه وآله الغضب ورفعه رأسه، وقال له: «لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنّك سخي تطعم الطعام، لشردت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلفك!». فقال له الرجل: وإنّ ربك ليحب السخاء؟ فقال: «نعم»، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً». (الكافي:٤/٣٩)

وروي أنّ شخصاً سأل الإمام الباقر عليه السلام فقال حدثني عن ولاية علي، أمن الله أم من رسوله؟ فغضب، ثم قال: «ويحك! كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخوف لله من أن يقول ما لم يأمره به الله! بل افترضها الله، كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج». (الكافي:١/٢٨٩)

علي الكوراني العاملي

استبيان

يسر مجلتكم / مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أن تدعوكم للمساهمة الجادة في الاستبيان الذي تطرحه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على إسهامكم في هذا الاستبيان.

- ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة: ....

- ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: ....

- هل تستطيع أن تقيم مضمون مجلة الوارث: (جيد☐/ لابأس☐/ ضعيف☐)

- ما هي جوانب الضعف في المجلة:

....

- ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر:

....

- ما هي النقاط الإيجابية في المجلة:

....

- هل تعتقد أنّ حجم المجلة الحالي هو ملائم: نعم ☐ / لا ☐

جواز بناء القبور

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾. [الكهف:٢١]

لقد أخبرنا الله تعالى عن المؤمنين الذين قرّروا أن يتّخذوا من مضجع الفتية المؤمنة مسجداً يسجدون لله سبحانه فيه، ويعبدونه وهم مؤمنون وليسوا بمشركين، ولم يذمّهم الله تعالى على ذلك.

وممّا لا شك فيه أن شأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام أرفع من شأن أولئك الفتية، فإذا جاز بناء قبورهم، فالأولى جواز ذلك بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

ولا شك ولا ريب أنّ صون المعالم الدينية عن الاندراس، كالمشاهد المتضمّنة لأجساد الأنبياء والصالحين، وحفظها عن الخراب بناءً وتجديداً، نحو من أنحاء التعظيم، كما أنّ حفظ المسجد عن الخراب تعظيم له.

ولا يخفى أنّ الله تعالى جعل الصفا والمروة من الشعائر والحرمات التي يجب احترامها، فكيف بالبقاع المتضمنة لأجساد الأنبياء والأولياء، فإنّها أولى بأن تكون شعاراً للدين. كيف لا؟ وهي من البيوت التي أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، فإنّ المراد من البيت في الآية هو: بيت الطاعة، وكل محل أُعدّ للعبادة، فيعم المساجد والمشاهد المشرفة لكونها من المعابد.

ولو لم يكن في الشريعة ما يدل على تعمير المساجد وتعظيمها واحترامها، لأغنتنا الآية بعمومها عن الدلالة على وجوب تعمير المسجد وتعظيمه، وإدامة ذكر الله فيه، لكونه من البيوت التي أذن الله أن ترفع.

ومثل المسجد في جهة التعمير والتعظيم والحفظ، المشاهد التي هي من مشاعر الإسلام ومعالم الدين.

بالاضافة إلى الآيات الواردة في هذا الخصوص فهناك إقرار للنبي صلى الله عليه وآله بشأن البناء على القبور.

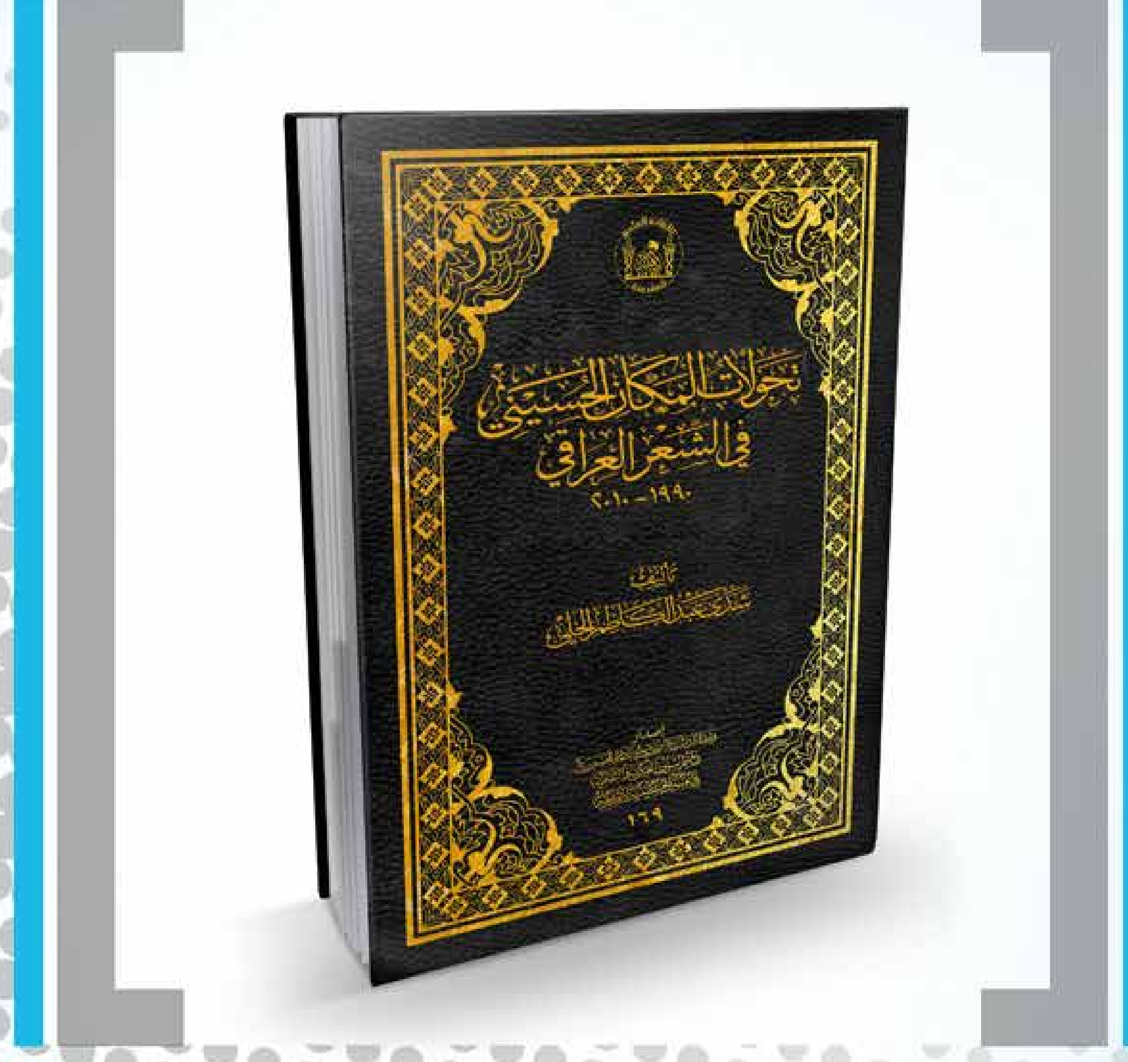
فإنّه صلى الله عليه وآله أقرّ على بناء الحجر ولم يأمروا بهدمه، مع أنّه مدفن نبي الله إسماعيل على نبيّنا وآله وعليه السلام وأمّه هاجر، وهكذا إقرارهم على بناء قبر النبي إبراهيم الخليل على نبينا وآله وعليه السلام، وبقية قبور الأنبياء والمرسلين حول بيت المقدس.

ثم إقرار أهل البيت عليهم السلام على دفن رسول الله صلى الله عليه وآله في الحجرة التي توفّي فيها، وهي مشيّدة بالبناء.

شعبة الدراسات والبحوث



صدر حديثا
من شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة





■ **تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.**

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:

Email: dirasatislamia@gmail.com